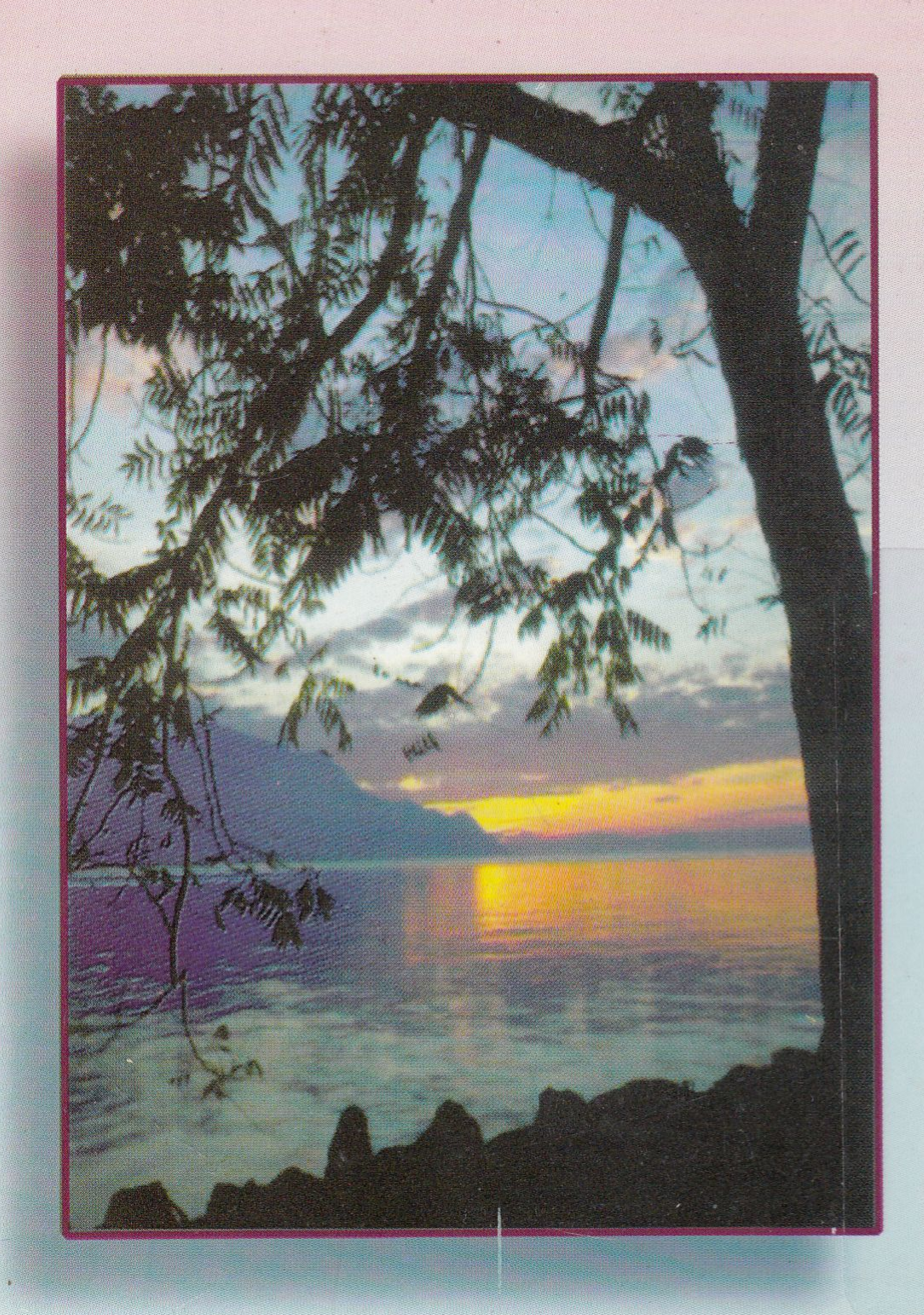
رحلة فى دروب الحياة



تأليف
رودى لاك

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة الانجيلية بالعطارين

الاسكندرية

رحلة
في
دروب الحياة

تأليف

رودى لاك

ترجمة

د. عادل كمال

طبعة أولى ديسمبر ١٩٩٦

"Journey Into Life" «رحلة في دروب الحياة»

Author : Rudy Lack
تأليف :ـ رودى لاك

Publisher : GLIFA - 3646 - Einigen, SWITZERLAND

Publisher of the Arabic Edition:
الناشر للنسخة العربية :ـ

Lighthouse Book Center
مكتبة المنار

17, Murad El Sherei Str. Saint Fatima
١٧ ش مراد الشريعى ـ سانت فاتيما

Heliopolis - Egypt
مصر الجديدة ـ مصر

Tel : (02) 2495030 Fax.: (02) 3536377
ت : ٢٤٩٥٠٣٠ (٠٢) فاكس : ٣٥٣٦٣٧٧ (٠٢)

الترقيم الدولى : ISBN : 977 - 5674 - 03 - 4

رقم الايداع بدار الكتب ١٣٩٢٤ / ١٩٩٦

طبع بدار الطباعة القومية بالفجالة : ت/ ٥٩٠٥٤٨٦

س/٤/٩٦/٥/(٥)



• • • • • • • • • • •

Rudi Lack

GLIFA - 3646 - Einigen, Switzerland

إهـــداء

إلى زوجتي

إيليان

رفيقتي وشريكة خدمتي

في ملكوت الله

الفهرس

السكون

حدث في أسفاري أن دخلت كهوفاً في فرنسا، ونزلت في منجم فحم في إنجلترا وتجولت بالقارب في بحيرة تحت الجبال في سويسرا. لكن التجربة التي مررت بها تحت الأرض في نيوزيلاندا كانت من أكثر التجارب التي فتنتني في حياتي.

لم نكن أنا وأصدقائي الزوار الوحيدين. وكان قد تجمع جمهور كبير لمشاهدة هذا المنظر الفريد تحت الأرض. فتم تقسيمنا إلى مجموعات صغيرة وعهد بنا إلى المرشد الذي أوضح لنا أنه بمجرد دخولنا إلى الكهف علينا أن نخفض صوتنا إلى أدنى درجة ممكنة وعندما حان دورنا دخلنا ببطء في طابور واحد إلى مدخل الكهف. وكان مرشدنا يتقدم الطريق هابطا بنا أكثر فأكثر إلى باطن الأرض ومارا بكهوف عديدة وما إن شاهدنا التكوينات الرائعة للحجر الجيري على جانبي الممر حتى أطلقنا الآهات إعجاباً بذلك المنظر الذي لا يصدق. فذكرنا المرشد بسرعة بالأهمية القصوى للصمت في هذا الوقت بالذات.

ثم وصلنا إلى شاطئ بحيرة ضخمة تحت مستوى سطح الأرض بمئات الأقدام. وكان هناك قارب ضيق صغير مربوط إلى الحاجز الخشبي، فنزلنا إليه بكل ما أمكننا من هدوء.

وعندما اتخذنا أماكننا همس لنا المرشد بصوت خفيض: من

فضلكم، لا تصدروا أي صوت بينما نجدف بكم هنا. فهذه الحشيرات الدقيقة التي تعرف بالحباحب المتوهجة سرعان ما تطفيء أنوارها عند صدور أقل صوت وعندئذ لن تروا شيئا، أنتم والمجموعات التي تتبعكم.

وانزلق القارب بصوت مكتوم على سطح البحيرة الرائق. كان السواد يلفنا ونحن نتحرك ببطء بين الكهوف المظلمة. واخيراً استدرنا حول ركن فإذا بنا نراها وجهاً لوجه آلاف مؤلفة من الأضواء المتناهية الصغر تشبه النجوم، تتلألأ وسط سقف حريري أسود مثل مجرات منمنة في الفضاء المترامي الأطرف. وذاب الوقت بينما كنا نجلس محدقين لأعلى.

في هذا الجزء من الكهف كان هناك سكون مطلق، ولم يكن هناك أي ضوء إلا ذلك المنبعث من الحباحب والتي اشتهرت أيضا باسم سراج الليل وحان الوقت للتحرك.

وما إن التففنا حول ركن أخر، حتى بدأ ضوء الشمس الخافت يتسلل بخيوطه وسط الظلام. وبينما كنا نقترب من فتحة الكهف كان ضوء الحباحب يزداد خفوتاً. ثم خرجنا أخيراً إلى رحب النهار واستند القارب إلى رصيف صغير تحوطه النباتات البدائية والشجيرات. وانطلق الجميع يثرثرون بصخب وهم يتسلقون الرصيف للعودة إلى البوابة الرئيسية. واستمريت في نظرة أخيرة إلى الكهف، فلم يكن هناك المزيد لأراه. فقد اختفى ضوء سرج الليل تماماً.

وقد ذكرني ذلك بموقفنا كمسيحيين. ففي أحلك لحظات حياتنا غالبا ما نختبر نور الروح القدس المتوهج. لكن ما أسهل إخماده. لقد أطفأت نور الروح القدس مرات كثيرة في حياتي بضوضاء تحركاتي

الشخصية. ياليتنا نتعلم في مثل هذه الأوقات كيف نتأمل في صمت وسكون في مجد الله وروعته.



«يايسوع، ساعدني أن أتحاشى إثارة أي ضوضاء غير ضرورية أو أي عمل من شأنه أن يطفيء توهج روحك القدوس.»

الدواء

كانت الأسطوانة الحديدية المطلية باللون الأبيض تحمل رسماً لجمجمة بشرية سوداء. في مهمتي أن أتعامل مع أي شئ يحمل ملصقاً على هذا النحو بحذر شديد.

فالقيام بأبحاث باستخدام المواد شديدة السمية عمل خطر يتطلب تركيزاً مطلقاً ويداً ثابتة.

وأدرت المفتاح بحرص وانتظرت حتى يأخذ الغاز المميت طريقه خلال مختلف الأنابيب حتى يصل إلى الوعاء الزجاجي الشفاف الممتلئ بسائل يمتص الغاز. وكنت أرقب الموقف بكل أنتباه – وإذا بالمفاجأة حدث تشقق بأنبوب من الأنابيب وأخذ الغاز يتسرب منه. تشممت سحب الدخان الأبيض القاتل المتصاعد من حولي. وأحسست بدمي كأنه يغلي. وقبل أن أضع كمامة الغاز، أسرعت أستنشق من العقار المضاد حتى يعادل التأثيرات المميتة للغاز على رئتي. كنت أدرك أنني فى سباق محموم، فأخذت أنفاساً عميقة من هذه المادة المنقذة. وعندئذ فقط وصلت إلى كمامة الغاز وأغلقت سريان الغاز. وارتعدت فإن مهنتي في أحسن الأحوال خطرة. لكن الكمياء كانت دائما تأسرني، واستمتعت تماماً بالتحدي الذي يفرضه عليّ كفني معمل في شركة أبحاث سويسرية.

أوكلت إليّ مهمة إنتاج دواء مهديء يمكن أن يكون عوناً لكثير من

الناس وذا نفع كبير للجنس البشري. ومع ذلك ظل أحد المكونات الأساسية للدواء هو ذلك الغاز السام. فكان يتحكم امتصاصه في سائل ما ثم خلطه ورجه وتسخينه وتقطيره مع مواد كيميائية أخرى، فيتحول أخيراً إلى مسحوق أبيض نقي. ثم يضغط في صورة أقراص ويباع في الصيدليات في جميع أنحاء العالم.

وباستمرار البحث ومع توالي التجارب، كثيراً ماكان ينتابني إحساس بغرابة ذلك الذي يحدث ويتحق أمامي. فهذا السم القاتل عندما يخلط مع مواد أخرى ويعامل بالطريقة الصحيحة، يتحول أخيراً إلى أكثر المواد خيراً ونفعاً.

فتكون النتيجة النهائية دواء يقدره آلاف الناس حق قدره يوماً ما.

وقد ذكرني ذلك بنص في الكتاب المقدس سيهبنا جمالاً عوضا عن الرماد، وزيت البهجة عوضاً عن النواح. أليس صحيحاً أننا قد فسدنا حتى النخاع وتسممنا بالخطية وتلفنا؟ فليس هناك شيء صالح في مكونات نفوسنا – وقد أعوزنا جميعاً مجد الله. إلا أنه يمكننا من خلال عملية التحويل التي يجديها الله، وبرش دم يسوع، أن نصبح مصدراً للحياة وبلسماً للناس من حولنا. كم أدين ليد الله العاملة في حياتي! فبرغم أن عملية التغيير والتبديل كثيراً ما تكون مؤلمة، إلا أن الحصيلة دائما رائعة. فدعونا لا نقع تحت وطأة اليأس أثناء إجراء عملية التحول. ربما تشعر اليوم بالحرارة المنبعثة منها.

كل ما عليك أن تبقى مطمئناً، فماالحراره إلا علامة على أن الله يعمل في حياتك.

«أشكرك يارب من أجل صبرك وأنت تعمل فيّ أنا العنصر المسموم. ومع أن الحرارة و الرجة كثيراً ما تكون بغيضة إلى نفسي، فإني أشكرك لأجل ما صنعته وما زلت تصنعه بي. أحمدك من أجل المنتج النهائي ومن أجل تأثيره الصالح في الآخرين.»

الجبن السويسري

مضت ساعات والنار متقدة تحت المرجل النحاسي الضخم الذي التصق به الهباب الأسود من الخارج بينما تدلى هو من السقف معلقاً بسلسلة. وأما من الداخل فقد قبع به ذلك السائل الأبيض بلون الثلج: اللبن. كنت قد دخلت حينئذ إلى كوخ معزول في أعلى جبال سويسرا حيث كان ذلك الراعي يعالج السائل الدسم الذي حلبه لتوه في الصباح الباكر لقد كان يصنع الجبن السويسري. وبدت من النافذة پانوراما رائعة من الجبال المغطاة بالثلج والمتلألئة في ضوء الشمس. لسع الدخان الحارق عيني التي أمتلأت بالدموع فهممت بالخروج، إلا أنني توقفت وقد شدت انتباهي تصرفات الراعي.

كان يقيس درجة حرارة اللبن، ولما وجد أنه ليس ساخناً بالقدر الكافي أخذ يذكي النار من جديد. فاحتضنت اللهيب اللافع المرجل الضخم الذي يبلغ حجم الإنسان. وامتلأ الكوخ بغيمة زرقاوية وبدأت رائحة الدخان النفاذة تخترق مسامي. إلا أن الراعي كان لا زال منهمكاً في عمله. وأخذ يعيد قياس حرارة اللبن مرة ومرات حتى جاءت اللحظة أخيراً. فعند درجة ٣٢ مئوية تماما، لا أكثر ولا أقل، سنحت الفرصة للخطوة التالية.

ذهب الرجل إلى حجرة الخزين وأحضر انبوبة قياس اسطوانية صغيرة وملأها بالمنفحة وهو سائل مستخرج من معدة العجل. إن كمية

ضئيلة منه كفيلة بأن تختثر اللبن الدافيء في غضون دقائق. وأثناء تقليب اللبن، أضاف مجرد قطرات قليلة من ذلك السائل. وفي الحال تغير لون اللبن وتركيبته ورائحته. فتناول الرجل عصا خاصة وأخذ يعمل في الخليط حتى بات قادراً على فصل المواد الصلبة من السائل. أما هذه المواد الصلبة فستعبأ في قالب وتملح وتبدأ عملية إنضاج الجبن.

لقد تعلمت درساً عميقاً أثناء مشاهدتي لهذه العملية. فكما أن حرارة اللبن يجب أن تكون مضبوطة بدقة، هكذا هناك وقت مثالي بالنسبة لكل منا للعمل في مجال أو موقف معين. وهذا السائل الذي يضاف بكمية ضئيلة إلى اللبن المعد في حرارة معينة وفي الوقت المناسب تاماً، له تأثير عظيم في ذلك اللبن. ويمكننا تشبيه هذا السائل بقوة الروح القدس الفعالة. فإذا عشنا في انسجام مع روح الله، مصلين وشاهدين في الوقت المناسب تماما كما يرشدنا هو، فبإمكاننا أن نصبح أداة لتغيير العالم من حولنا – محدثين فيه تأثيراً أعظم بكثير مما كنا نحلم به أو نتخيله.

يارب، سبحانك الخالق وما أروع توقيتك. من فضلك اعطني فهماً أوضح لعلامات الأزمنة، وساعدني أن أكون مرشداً بروحك القدوس. أنا أعلم يارب أنك تريد أن أكون أداة للتغيير. ومع أنني لست شيئاً كبيراً، لكن دعني أكون – مع ضآلتي – ذا تأثير عظيم في هذا العالم، بإرشاد روحك القدوس وقوته.



المتحجر

ظهرت شمس الربيع بأشعتها التي تحمل حياة جديدة لعالم الحيوان الذي يعاود اليقظة. فخرجت السحالي من مخابئها الشتوية يحفزها ضوء الشمس الساطع. ويبدو أن الدفء يجلب سعادة خاصة لتلك الزواحف ذوات الرداء الجميل البرقش بالأخضر والأصفر والرمادي.

إلا أن القط الذي في منزلنا قد خرج هو الآخر للقنص ووجد في هذه السحالي فريسة سهلة وتقابل مع واحدة منها كانت لم تفق بعد من غفوتها. وكان المنظر يدعو بحق للشفقة ! كانت السحلية الصغيرة المسكينة تقف متحجرة أمام القط وقد تسمرت تماماً أمام عدوها. قطع القط جزءاً من ذيل السحلية لكن ذلك لم يمنع قدرتها على الحركة. وكلما نخسها القط بمخلبه انتفضت في حركة مفاجئة لكنها سرعان ما تتجمد ثانية خوفاً من عضة موشكة.

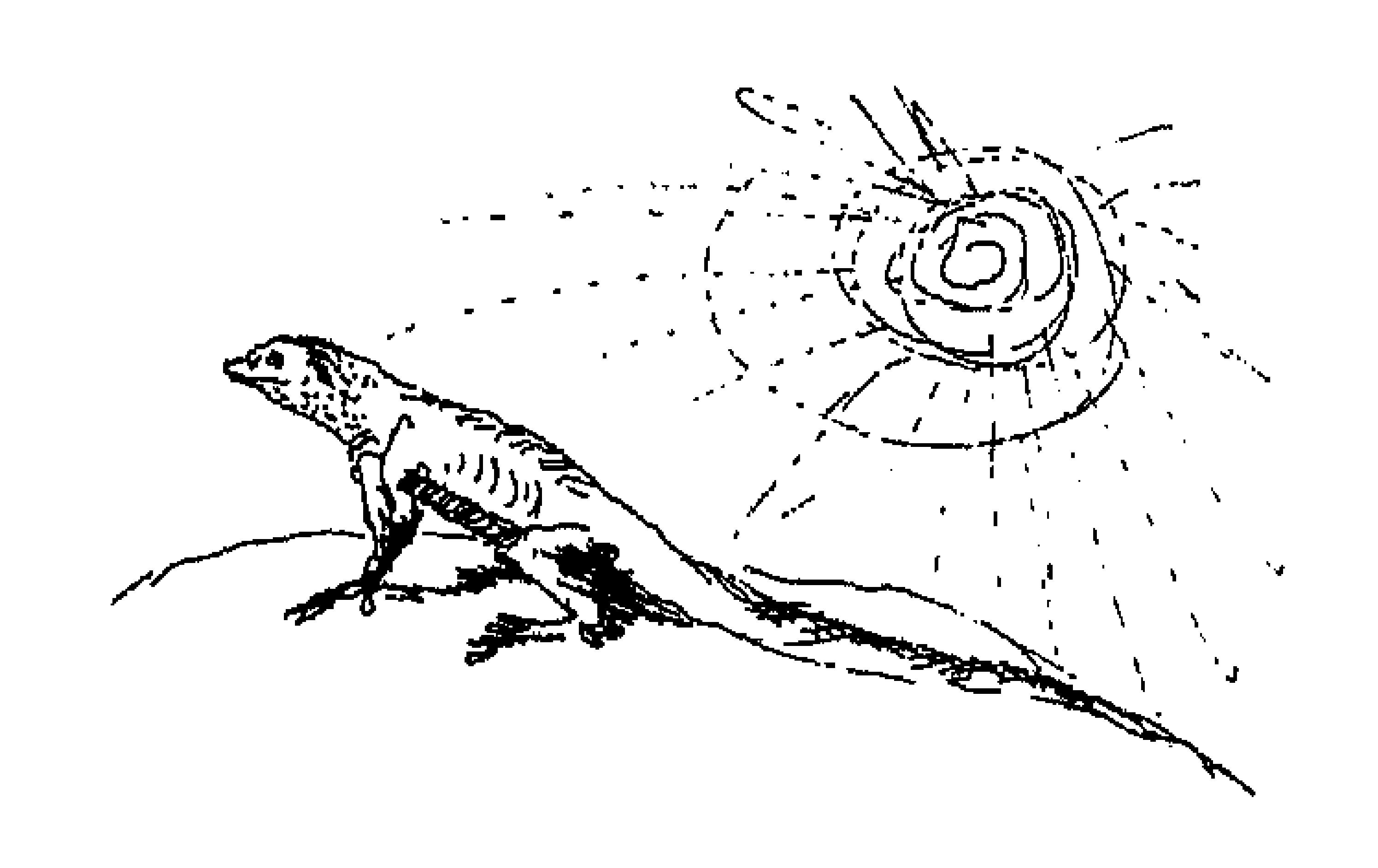
ثبتت السحلية نظرها على العدو المتربص وتدلى فكها كأنما تستعطف القط أن يدعها تمضي في سبيلها.

آه لو حولت نظرها عن صيادها وبحثت عن مهرب افبمقدورها أن تفر إلى أي من الأركان أو الشقوق وما أكثرها، حيث يستحيل أن يطولها أي مخلب. لكن لا لقد مكثت مشلوله من الخوف. وضربها المخلب ثانية، وتلاعبت بها المخالب وطوحتها لتتركها بعد ثوانٍ قليلة متجمدة بالخوف مرة أخرى.

لم اتحمل هذا المشهد المؤلم أكثر من ذلك. فنهضت مدفوعاً بالشفقة على الضحية المسكينة وأمسكت بالقط وأبعدته بعيداً. ثم أنحنيت على السحلية الخائفة. فأخذتها في يدي وأحسست ببرودة جسمها، فوضعتها في ضوء الشمس على حجر دافيء، ووقفت أتأمل ماذا عساها أن تفعل.

ظلت السحلية برهة بدون حركة، ثم بدأت تتنفس بوضوح. كان من السهل ملاحظة التغيير الذي حدث بمجرد أن تدفأ جسمها في الشمس. ودبت الحياة فيها مرة أخرى بمجرد تحررها من الشعور بالخطر. فاستجمعت قوتها وانزلقت بجرأة من على المجد لتجد مخبأ صغيراً وسط الحصى. وفي اليوم التالي رأيتها هي نفسها تتحرك بسعادة بين الأحجار مستمتعة بضوء الشمس. لقد فازت بالنجاة ولاشك أن الجزء المقطوع من ذيلها سينمو من جديد.

رأيت في هذا الحدث درساً عظيماً لي. كم من مرة وجدت نفسي متسمراً أمام العدو. وكان كل أهتمامي مركزاً على المشاكل التي بدت أمامي مستعصية على الحل، فلم ألحظ أي مهرب أو حل لأن الخوف كان يشلني. وإذا بالله يتدخل ويطرد العدو ويضعني في مكان آمن حيث يمكنني التقاط أنفاسي، ويعود إلىّ الدفء والأمان مرة أخرى. وبينما



كنت أغادر الحديقة لأدخل البيت بعد أن أطمأننت على السحلية، صليت قائلاً:

«يارب لاتدعنبي أبداً أتسمر أمام عدوي مشلولاً من الخوف.
أشكرك لأنه حينما يذمجر عليّ عدوي، تكون أنت هناك لتلتقطني وتحضرني إلى مكان آمن دافيء حيث أستعيد قوتي.»

الملف

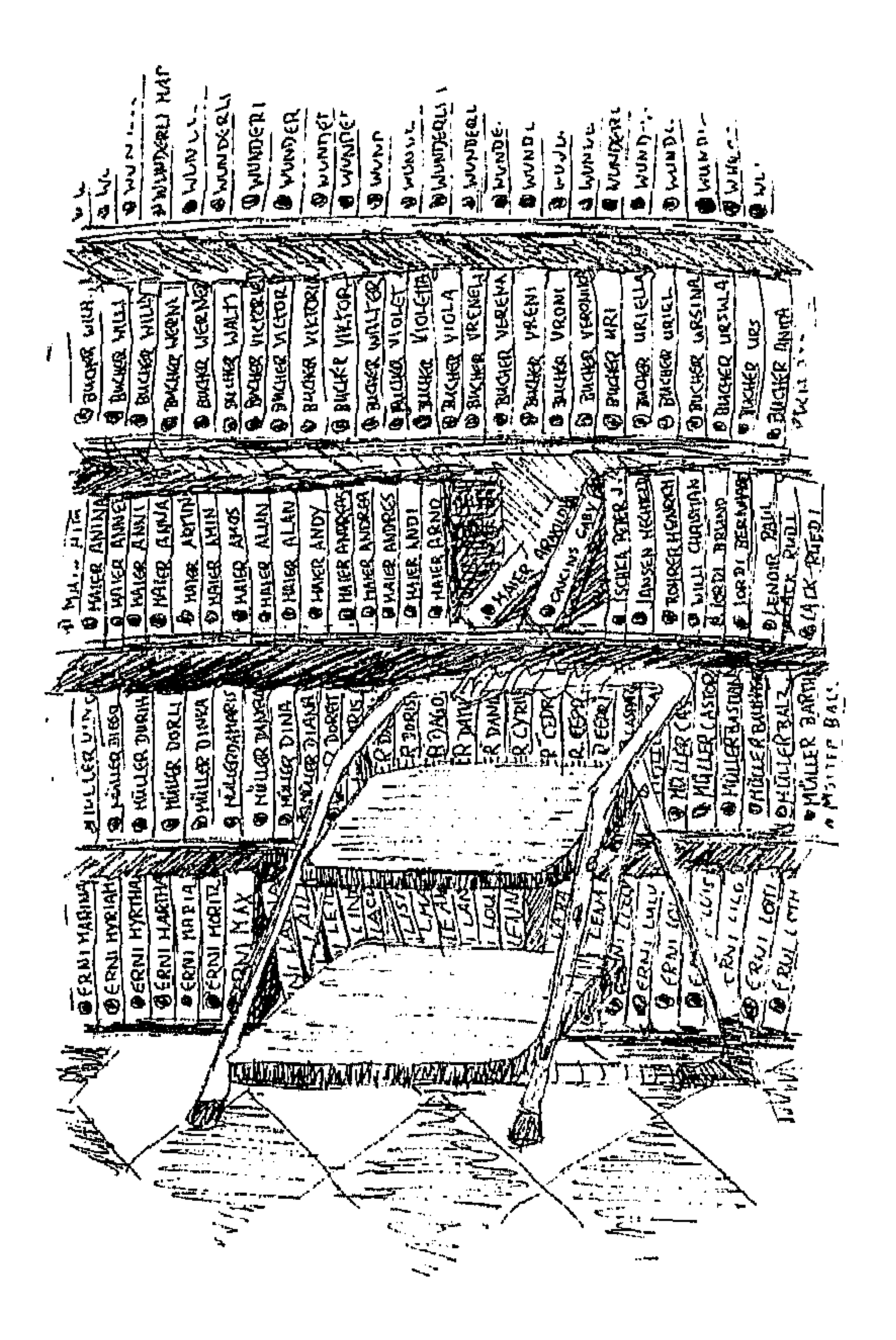
أمسك طبيب الأسنان بالأشعة ورفعها في الضوء قائلاً: نعم، لقد قمنا بعمل حشو للعصب منذ سنتين. ولا توجد أي مشكلة. وفي الحقيقة، بالرجوع إلى السجل الخاص بأسنانك يمكنني القول إن أسنانك الآن على مايرام!

ومددت عنقي وأنا مستلقٍ في ذلك الكرسي لألقي نظرة خاطفة على السجل. كان كل بند مسجلاً بدقة. هاهو العلاج الذي تم منذ ثلاث سنوات، وهاهي الفاتورة ومكتوب خلفها دفع. وفي صف آخر تم تدوين علاج السنة التالية. أما قيمة الفاتورة فكانت مكتوبة بحروف حمراء لامعة واضحة ورأيت هذه الكلمات: المطالبة الأولى!

آه، نعم. أتذكر أنني في هذه الأثناء أهملت دفع فاتورة الطبيب، ولم تمضِ فترة حتى كانت المطالبة قد وصلتني. فأسرعت بتسوية الحساب ولم تبق عليّ أي ديون. لكني تضايقت لما رأيت أن كل شيئ بقى مسجلاً في الملف. كان أمراً سيئاً أن أرى عيباً صغيراً من عيوبي في ملفات العلاج، لكنني أتساءل: ماذا سيكون موقف سجلي الخاص عندما أقف أمام الله في السماء؟ نعم إن اسمي مكتوب في سفر الحياة. لكنّ هناك سفراً آخر، ورد ذكره في ملاخي ٣:١٦ كتاب تذكرة كتب في محضر الرب ريخص أولئك الذين اتقوا الرب ومجدوا اسمه.

فكرة هادئة! هل سأرتبك أم أندم على بعض الأفعال عندما يفتح

هذا الكتاب في السماء؟ أم سأقف في ملء الثقة أن كل دين عليّ قد تم دفعه؟



«يارب، ساعدني أن أعيش بالصورة التي لا تجعلني أقف في خزي عندما يفتح ملفي في السماء.

الزي

أنسطاسي هو اسم تلك السفينة التي تعبر المحيطات حاملة على متنها المئات من المؤمنين وتتوقف في كثير من موانئ العالم حاملة رسالة المسيح بصورة عملية وروحية. وأثناء توقفها في الميناء. يصعد إليها آلاف الناس في جولة إرشادية على سطحها. ودائما ما تصعب السيطرة على الزحام عندما يقف مئات الزائرين في طابور على الرصيف منتظرين دورهم في الصعود إلى السفينة. كنت مع زوجتي «إليان» نخدم كأعضاء في الطاقم منذ سنوات عديدة مضت. وكان أحد مهامنا المساعدة في تنظيم الجولة على السفينة. وعندما كان الناس يدخلون كنا نحاول أن نصحبهم في نظام على الأسطح المختلفة للتعريف بأهم معالم السفينة.

سأبقى دائما أتذكر ذلك اليوم الذي بدأ فيه وكأن «إليان» قد فقدت السيطرة على الموقف. كانت تبذل كل ما في وسعها ليكون صوتها مسموعاً وسط الجلبة الصادرة من الزحام بينما كانت تعطي الإرشادات. من فضلكم قفوا في صفوف. سيدي لا يمكنك التجول هكذا في غرفة الماكينات. كّونوا مجموعة هنا لنأخذكم فوق هذا المعبر... لكن الناس لم يكونوا يستمعون، وأصبح من المحال شد انتباههم.

وبغتة تسلط الضوء على «إليان». كانت أنيقة لكن بملابسها المدنية. فاستأذنت لحظة وسرعت إلى الكابينة لتضع زيها الرسمي.

وبعد دقائق بدت رائعة في زي البحرية ذي التنورة الزرقاء والبلوزة البيضاء. وقد ثبتت بالأكمام كتافتان تحملان شارات ذهبية تبين رتبتها. ما أجملك يا زوجتي! والأكثر من ذلك أنها تبدو رسمية إلى حد بعيد.

عادت «إليان» الآن إلى السطح المزدحم لتلقي بنفس التعليمات. وياله من فارق فى الاستجابة! فسرعان ما تجمع الناس في خط مستقيم وساد السكون حالما تكلمت. كان الناس ينظرون إليها في انتباه شديد مقرين بوضعها الرسمي. تكلمت «إليان» الآن بثقة جديدة وبنغمة تنم عن سلطة وكان واضحاً حجم التأثير المذهل على الزائرين. هل تشعر أنك تفتقر إلى السلطان فى العالم الروحي غير المنظور؟ هل تفتقد القوة في صراعك ضد العدو؟ ربما لا تكون لابساً الزي لقد تم تزويدنا – كأفراد في جيش الرب – بطاقم تسليح كامل. وقد تنبهنا في (أفسس ٦) إلى ضرورة لبس سلاح الله كله. حينئذ سيدرك العدو وقواته الظلمة التابعة له أنك ابن لله الحي. وعندئذ ستندهش من النتائج الحاسمة!

«أشكرك ياربي يسوع من أجل تزويدي بثوب البر. ساعدني اليوم حتى أعيش في السلطان الذي منحتني إياه!»

استخدمهما كلتاهما

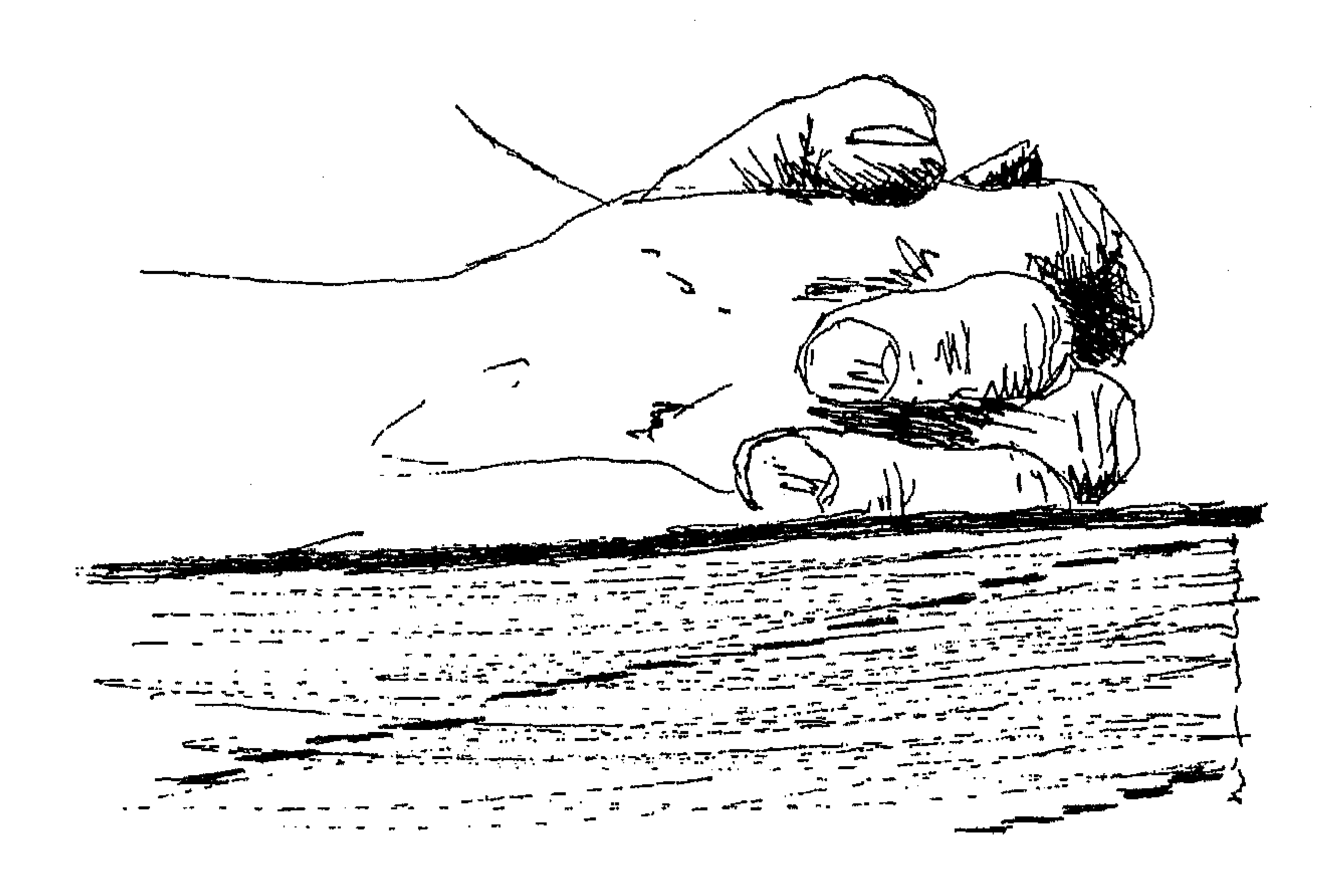
كان منظر آلة قطع الأوراق الضخمة في المطبعة مهيباً. كانت المقصلة ذات الفصل الحاد تنقض المرة تلو المرة بصوت قاطع رهيب على حزم الكتب المترابطة بقياس محدد. تملكني الرعب وأنا أتخيل ما يمكن أن يحدث لوضغط أحدهم مصادفة على زر القطع بينما لايزال يرتب حزمة الورق بيده الأخرى. من الواضح أنه لا يجب تشغيل الآلة بواسطة شخصين في وقت واحد – ومع ذلك فبالتأكيد يمكن حتى لفرد واحد أن يتسبب في إصابة نفسه على نحو خطير.

آه، لكن هذا مستحيل أجابني أحد الموظفين واستطرد يقول: لا يمكنك تشغيل الماكينة بيد واحدة على زر واحد. فهي لن تعمل! ثم شرح لي ما كان يعنيه. فمن أجل تشغيل القاطع عليك بالضغط على زرين منفصلين في نفس الوقت – الزر على الجانب الأيسر باليد اليسرى، والذي على الجانب الأيمن باليد اليمنى. حينئذ فقط يعمل النصل. وبذلك تضمن هذه الفكرة البسيطة أقصى أمان ممكن لمن يشغل الماكينة. فقد صمم الصانع الآلة واضعاً في ذهنه ليس فقط السرعة وجودة المنتج لكن أيضاً أمان من يقوم بتشغيلها.

وقد فكرت أن ذلك يشبه إلى حد ما حياتنا المسيحية. فمن جانب لدينا الصلاة ومن الجانب الآخر قراءة كلمة الله. فإذا استخدمنا كلا

منهما معاً، ستنساب قوة الله القاطعة والهادمة لكل حصون العدو – دون أي خطورة علينا!

«شكراً يارب من أجل التحكم المزدوج للصلاة والكلمة. من فضلك ساعدنا حتى نتخدمها معاً في نفس الوقت.»



المطاردة الشرسة

أخذت حماماً لطيفاً يبعث على البهجة. فالماء الساخن يجري على رأسي ويدفيء كل جسمي. كان الماء الساخن كافياً جداً وكنت على وشك الاستمتاع بنشاط لا يوصف. لم يكن ينقص إلا زيادة ضغط الماء. فأدرت الزر فإذا الماء يتدفق أكثر – ولكن ليس في اتجاهي!

لقد تحرك رأس الدش على الوصلة المروحية بسبب زيادة الضغط. فكان عليّ أن أشبع خرطوم المياه وأتحرك معه. فما كان مني إلا أن خفضت الضغط مرة ثانية وعدت لموقعي الأصلي لأحصل على حمامي المأمول.

وما حدث بالفعل أني لما زدت الضغط كثيراً أخذ رأس الدش يتحرك حركة دائرية مستمرة بدون أي تحكم. فكنت ألاحق الماء كأني في مطاردة شرسة. وأصبحت تحركاتي تحت رحمة رأس الدش الذي كان يروح ويجيء حسب ضغط الماء خلفه.

هذا الدرس الملموس جعلني أفكر .... أي الضغوط في حياتي تجعلني ألاحقها؟ وتذكرت كم من المرات كنت مشدوداً بفعل بعض المشاريع التي انغمست فيها. كم قضيت الليالي بدون نوم، أعمل لساعات طويلة في الليل دون تخصيص أي وقت لنفسي أو لزوجتي. وفي تلك الأثناء فقدت سيطرتي على تحركاتي ونشاطاتي. بل إنها هي التي تحكمت فيّ! وآسف للقول بأني انصت للضغط. وتمثل ذلك في

الجهد الخرافي لبلوغ غاية والرغبة في الإنجاز والاصطدام الدائم بالمواعيد و المهلة الأخيرة. صرت سجين الأشياء التي بدأتها، في سجن بلا رحمة. هل كان ذلك حقاً من الله؟

كان كل ما أحتاجه أثناء وقوفي تحت الدش أن أقلل من الضغط فتتوقف حركة الدش وتنتهي المطاردة الوحشية. هل هناك أي طريقة تمكنني من تقليل الضغط الناتج من بعض النشاطات والمشروعات في حياتي؟ بالتأكيد ليست رغبة الله أن أدخل في سباق الفئران هذا. ألم يقل الكتاب المقدس بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم؟ ويقول أيضا إنا يجب أن نعيش عيشة هدوء وقداسة وأننا عبيد لما نختار أن نطيعه. وهناك تحت الدش حيث قللت من ضغط المياه، صليت أن يعطيني الله الإدراك والشجاعة لتقليل بعض الضغوط في حياتي. حتى أصرف وقتاً أقل في ملاحقتها هنا وهناك.



«ربي يسوع، لم يكن يقودك أو يحركك شيء إلا ما طلب منك أبوك أن تعمله. ساعدني أن أصل إلى تلك الحياة المتزنة حتى لا أجري هنا وهناك كالمجنون. أعطني شجاعة تقليل الضغط حيثما يمكنني ذلك. وعندما أفقد السيطرة على الضغط، اغلق أنت كل الصنابر بحيث يعود التوازن إلى حياتي.»

معتدل «مارش»

شمال، يمين – شمـ...، يمـ...، لم أكن مغرماً بالعسكرية، لكن كان عليّ أن أؤدي خدمة التجنيد مثل أي مواطن سويسري آخر. وكنا نمشي حسب أوامر القادة الأعلى بكل انضباط. وكان صوت ألاف الجنود وهم يدقون الأرض في نفس اللحظة يصدر إيقاعاً رهيباً يمكن سماعه عن بعد. كنا نتقدم بسرعة وإذا بنا أمام جسر يمتد عبر نهر من الأنهار.

قف! انطلقت هذه الصيحة من الضابط ونحن على وشك التقدم إلى الجسر. فتوقف الجميع في سكون وانتظرنا صامتين. ثم تحدث الرؤساء: سيعبر الجنود الجسر بخطوة متمهلة. وعندما نصل للضفة الأخرى سنعود للخطوة المعتادة مرة أخرى. فإذا مشينا كلنا معاً بالخطوة العسكرية المعتادة، سيهتز الجسر في اتساق مع خطوتنا. وقد يتسبب ذلك في إجهاد المعدن، وصدق أو لا تصدق، فإن عوارض الصلب هذه يمكن أن تنهار.

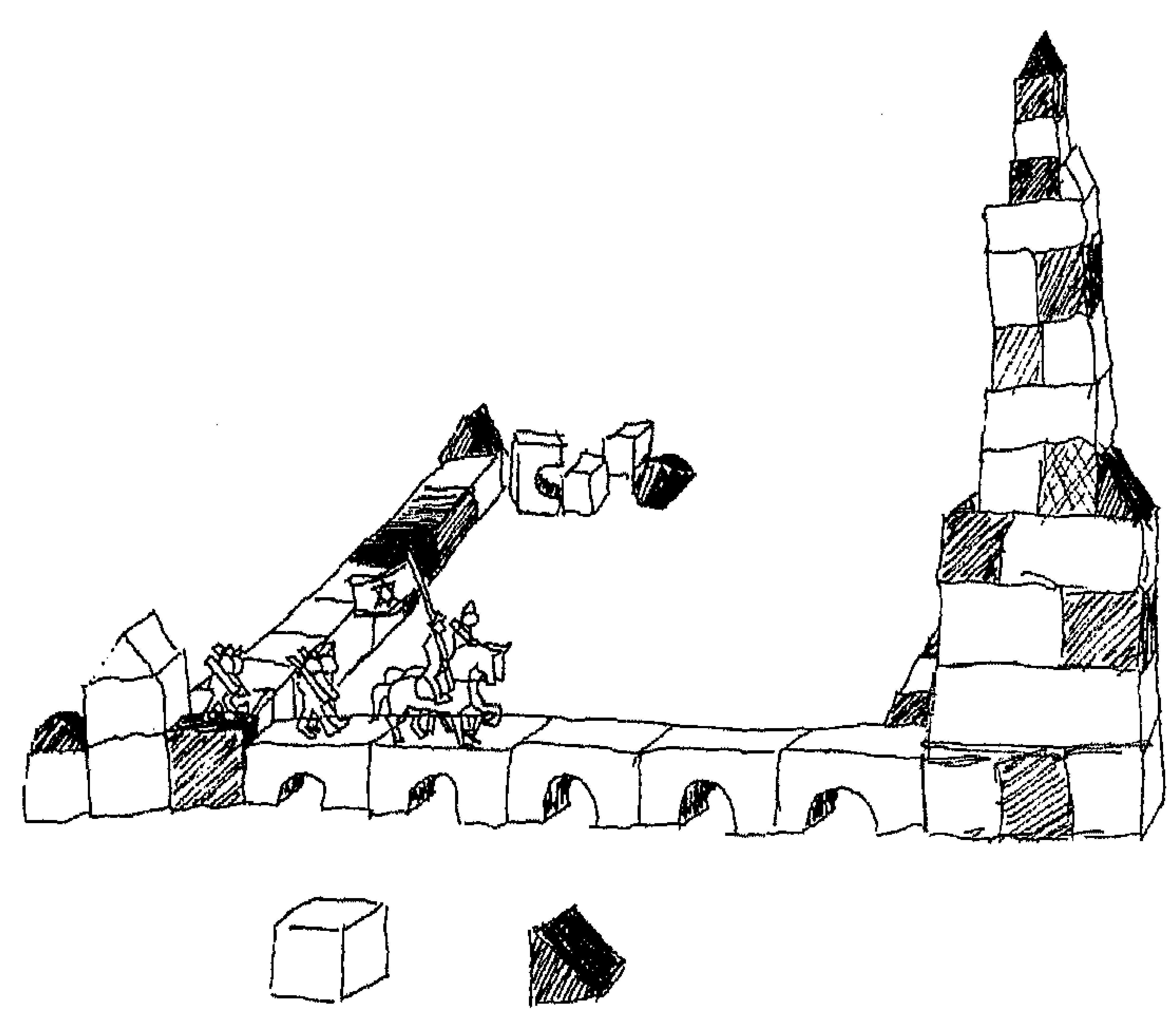
لدى سماعنا ذلك، حرصنا أن نعبر إلى الضفة الأخرى متعمدين ألا يسير أي منا بخطوة منتظمة.

مدهش! بدون ديناميت، بل بمجرد السير معاً في اتساق ووحدة يمكننا أن ندمر هذا البناء الصلب! أي قوة إذن تكمن في اندماج وانسجام مسيرة هذه الحفنة من الجنود! إنها هذه الصورة خير مثال

يوضح كلمات الله عن الوحدة. ماذا لو عمل الأفراد المؤمنون والكنائس بأجمعها معاً في وحدة! إن ذلك كفيل بإسقاط كل آلة صورت ضد الله بكل سهولة. إلا أننا بدلا من ذلك نتلكأ في تمهل فوق أرض العدو عاملين ما يخصنا ومهملين الناس من حولنا.

علينا أن ندرك أننا سنهدم أعمال الشيطان في أرضنا فقط عندما نعمل معا في تناسق ووحدة ضد عدونا المشترك

«أيها الآب السماوي، ساعدني أن أراعي الآخرين وأن أشترك معهم في الخطوة، حتى نسير معا في اتحاد. وحدتنا معا كوحدة متناسقة بقيادة روحك القدوس؛ وساعدنا أن نصدر تلك الترددات القوية التي ستهدم حتماً حصون العدو.»





الزنزانة

ربما يعد حصن شيلون – المقام على جزيرة في بحيرة جنيف – واحداً من أروع الآثار التاريخية وأكثرها تشويقاً ومتعة للنظر في سويسرا. وكم شهدت أبراجه وحجراته المرتفعة وكذا زنازينه وقبائه تحت الأرض، من أحداث ومشاهد يضرب بها المثل في الوحشية.

هبطتُ إلى التجويف الشاسع ذي السراديب الذي يقع تحت القاعات الفخمة التي كان يحتلها الدوقات قبل مئات السنين. هناك تحفر ستة عشر سرداباً من الطراز القوطي في الصخر تدعمها سبعة أعمدة. إنها تجربة تبعث الرهبة في النفس أن تقف هناك وتفكر في أولئك التعساء الذين ذاقوا العذاب في هذا الكان. وقد كان معظمهم من اليهود والمسيحيين الذين اتهموا خطأ بإدخال الطاعون منذ ٦٥٠ عاما. فبالكاد يتسلل شعاع واحد من الضوء إلى هذا المكان الرهيب حيث سجن «بونيڤار» الوزير المسيحي الذي قيدوه بالسلاسل إلى أحد الأعمدة لمدة أربع سنوات طوال.

وقفت هناك يلفني الإحساس بالعذاب والموت من كل جهة. وسرت في نفسي رعدة من منظر الصخر البارد الداكن، وجمود الصمت الذي لا يقطعه إلا صوت ملاطمة الأمواج لجدران الزنزانة من الخارج. أخذت أقرأ ما دونه السجناء على الأعمدة فكان ينتابني شعور متزايد بالقهر والذل.

إن هذا العمود عينه الذي أوثق به «بونيڤار» قد شهد مقاومته للظلم وإيمانه وتشبثه بتحدي الحكام غير الاتقياء. ولم يستسلم مرة واحدة. بل واصل مقاومته ليلاً ونهاراً؛ صيفا وشتاءً، لكل الظلم الذي تعرض له. لقد تحمل الظروف غير الصحية وتجرع العقوبة الشنيعة بينما الأمراء والدوقات يحتفلون ويتنعمون فوقه بأمتار قليلة.

استندت إلى هذا العمود الذي كان أقرب إليه من الناس وأخذت أتأمل ثم بدأت أصلي. إن مشاكلي الصغيرة لاتقاس بأي حال بهذه المظالم التي قاسها «بونيڤار» هنا منذ نصف قرن. فكم سمحت للعقبات التي صادفتني في حياتي أن تتسلل بكل سهولة إلى نفسي؛ بينما أولئك الرجال والنساء قد أظهروا قدرة غير عادية على احتمال ومقاومة التجارب التي واجهوها.

صليت: يارب، ساعدني أن أكون أكثر صلابة وأقل تركيزاً على نفسي عندما أواجه المصاعب. أحتاج لمزيد من المثابرة والقدرة على الاحتمال. علمني ألا أستسلم بسهولة، بل أن أتقوي وأثبت من أجل الحق.

ثم ارتقيت السلالم ببطء وصعدت إلى قاعات المآدب فوق. وهناك رأيت اللوحات المطرزة وأعمال الجبس التي تنم عن عادات تلك العصور البائدة؛ إلا أنها لم تعنِ شيئاً بالنسبة لي. أما الحجرات الفخمة التي امتلأت بروعة وأبهة البلاط البابوي فلم تترك في نفسي أي أثر. حقاً، لم تكن النبالة والفخامة بل ساكنو الزنزانة الأمناء الأبرياء هم أبطال ذلك العصر الحقيقيون.



«يايسوع، يامن تألمت أكثر من أي واحد فينا ومع ذلك استطعت أن تقول يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون. ساعدني ألا أحمل أي ضغينة تجاه من ظلموني. لكن هبني الشجاعة والقدرة على الاحتمال والجرأه على الثبات من أجلك.»

بلورة صغيرة

عندما دخلت المعمل صباحاً وجدت المسحوق الأبيض في أنبوبة الاختبار وقد تحول إلى اللون الرمادي الباهت. كان مشروع البحث ناجحاً والنتائج مشجعة. ومع ذلك فإن هذه الدرجة من اللون كانت تعني أن المنتج لم يصل بعد إلى الدرجة القياسية المثلى. فكان عليّ أن أخضع النتائج لعملية بلورة أخرى وصولاً للمقاييس المرجوة.

أخذت كأساً نقية من الزجاج وملأتها بالماء المقطر وأضفت المسحوق الرمادي. وقبل مضي مدة تكوّن راسب أبيض. فبدأت عملية التسخين مترقباً ذوبان المسحوق.

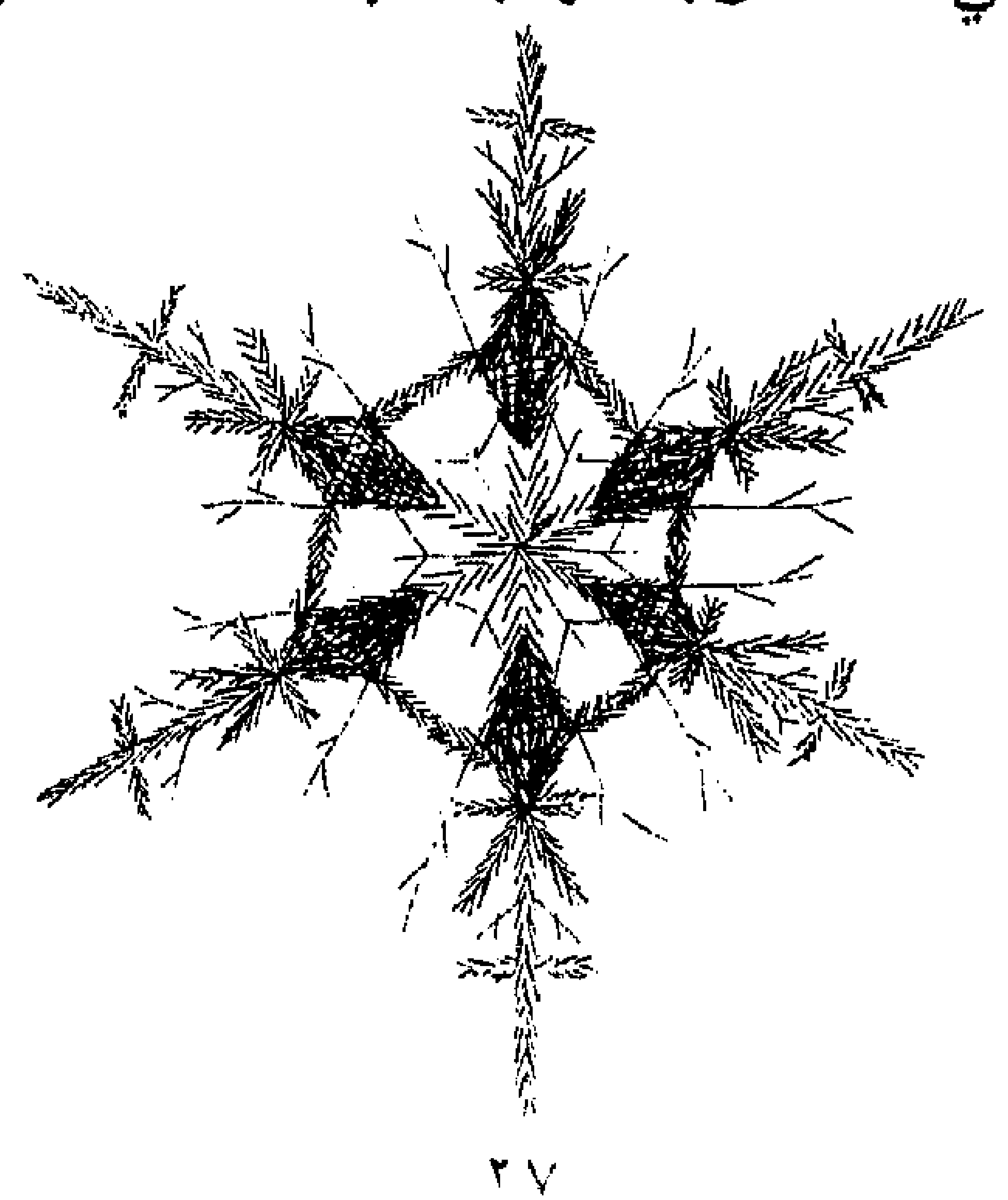
عندما وصل السائل لدرجة الغليان كان قد أصبح رائقاً إلا من بعض الشوائب العالقة بالمحلول. فرشحت المحلول للتخلص منها وتمت المهمة بسرعة. هاهو مستوي النقاء المطلوب؛ والآن تبدأ عملية البلورة. بدأت في تبريد السائل؛ وانتظرت وكلي أمل – تلك اللحظة التي يتحول فيها السائل الرائق إلى ملايين من البلورات الصغيرة. لكن شيئاً لم يحدث!

أخذت درجة الحرارة في الانخفاض بسرعة: ٩٠°، ٦٠°، ٣٠°، ١٠° ..... ولم يحدث شيء. أصبح المحلول بارداً وزاد تشبعه بالمنتج الكيميائي، فيجب الآن أن يحدث تفاعل ما! في تلك اللحظة نظر إليّ

رئيس في المعمل من بعيد ولاحظ حيرتي.فناداني قائلاً: «عليك بالبذرة. كيف نسيت واحداً من أهم مبادىء تكوين البلورات؟! فالبلورات الجديدة تحتاج إلى نقطة بداية تحفز تكونها». فأخذت ملقاطين والتقطت بهما ذرة صغيرة من المنتج النقي الذي تم تحضيره في تجربة الأسبوع الماضي وأسقطتها في الكأس. وفي الحال تحول المحلول إلى لون الجليد وبدت فيه ملايين البلورات التي تكونت في التو. ولم يبق أمامي إلا فصل السائل عن المواد الصلبة وتجفيف البلورات تمهيداً لاستخدامها في المرحلة التالية من التجربة.

ألا يحدث نفس الشيء في حياتنا؟ فالرب يجتاز بنا في عملية إنضاج وتنقية وترشيح طويلة وبطيئة. قد تكون حياتنا على عتبة الانطلاق حبلي ببشائر النجاح: بيد أن شيئاً لا يحدث حتى تتلامس مع الحافز الأخير. فانتظر بصبر! فالعالِم الأعظم، يسوع المسيح، يعلم تماماً متى يسقط تلك البلورة في حياتنا فتؤدي بنا إلى أمجد وأبهى النتائج.

«هللويا! أنت ياربُ العالِم الأكبر وأنت تعرف عني كل شيء وستحقق في حياتي كل ما رتبته لها بحسب حكمتك اللانهائية.»



تآلف وتناغم

همست لزوجتي بينما كنا ننتقل من مبنى لآخر: «يالها من حقبة مدهشة». كنا وقتئذ نقضي اجازتنا في زيارة أديرة فرنسا القديمة التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ الديني لهذه المنطقة الخاصة من العالم. واكتشفنا أن أكثر من ١٠,٠٠٠ من هذه المجتمعات وأماكن التعلم قد برزت في خلال فترة قصيرة من الزمن في أوربا العظمى التي امتدت من شمال بولندا وحتى جنوب أسبانيا.

لقد تم الحفاظ على الأبنية التي كنا فيها الآن بصفة خاصة. صعدنا الدرجات في الأبراج الحجرية العالية ثم نزلنا ثانية إلى الأقبية الشاسعة تحت الأرض حيث كان الرهبان يطهون، منذ مئات السنين، الجبن اللذيذة الشهيرة. (مازالت أغلبية تلك الوصفات تستخدم حتى الآن). كنا نتخيل طوال الوقت كيف كانت تبدو تلك الأحياء السكنية المحيطة، بينما كان الرهبان يملأون الفصول.

وسمعنا بغتة صوتاً خافتاً يتردد صداه عبر الحجرات الحجرية. انسياب الصوت في البداية ناعماً رقيقاً وبدا أن مصدره الكنيسة الموجودة في مكان ما قريب. ثم بدأ يعلو أكثر فأكثر حتى صرنا نميز بوضوح بين مختلف النغمات وهي تعلو وتهبط. قلت لزوجتي: «هذا أمر جميل، لماذا لم يقولوا لنا إن هناك فريقاً للترنيم يقدم خدمات هنا، فلنذهب ونحاول الدخول إذا سمحوا لنا».

ولكن لما دخلنا المبنى الذي يشبه الكاتدرائية لم نشاهد أحداً في المكان. غريبة! ربما يذيعون تسجيلاً ممتازاً لبعض الألحان الجريجورية من خلال نظام سماعات متقدم. وبحثنا عن مصدر الموسيقى دون جدوي.

وفجأه رأيناه - راهبا وحيداً يقف خلف أحد الأعمدة الضخمة متناغماً مع صدى صوته. كانت النغمات تخرج صافية تندفع متأرجحة على الأقواس ذات الطابع القوطي، ثم تهوى منخفضة لتثب مرة أخرى نحو صف الأعمدة المقابلة. وتداخلت النغمات وتشابكت معبئة الهواء بأصداء مجيدة.

التأثير الذي أحدثه ذلك الأداء المنفرد يماثل جوقة ترنيم كاملة، لكنه كان في الواقع رجلاً واحداً تآلف مع صوته وصداه في أعقد ستوديو للصوتيات رأيته في حياتي. قد تكون اليوم وحدك. ومع ذلك توجد في أستوديو صوتي من خلق الله. فقف في محضره ورنم؛ ودع صوتك يندمج مع أصداء حمدك... لأن الله سيستمع لصوت تعبدك ويذيعه مكبراً في السماء.

«يارب، حتى عندما أكون وحدي، أريد أن أرفع صوتي وأنغم وأتناغم بكل الطرق لأعطي المجد لاسمك الغالي».



تشكيل جوي

لم يكن المنظر الجميل للكرة البرتقالية الغارية وهي تسقط خلف الأفق هو الذي أسرني، إنما سرب الطيور الذي يشبه صورة ظلية مرسومة على صفحة السماء الحمراء المتألقة.

كانت تحلق برشاقة وتشكل في طيرانها الرقم «٧» شديد الإتقان. وبدا أن ثمة تنسيقاً إلهياً حيث احتفظ كل طائر بمسافة ثابتة بينه وبين رفقائه. كانوا يغيرون الاتجاه معاً، ويبلغون أقصى ارتفاع في تناغم كأنهم يدركون بحس غريزى ما يفعلونه جيداً.

لقد احتفظت هذه الطيور بثبات التشكيل لأنها كانت تساعد بعضها البعض فكل خبطة جناح تخلق تياراً صاعداً للطائر التالي بحيث توفر عليه نصف طاقته المبذولة تقريباً.

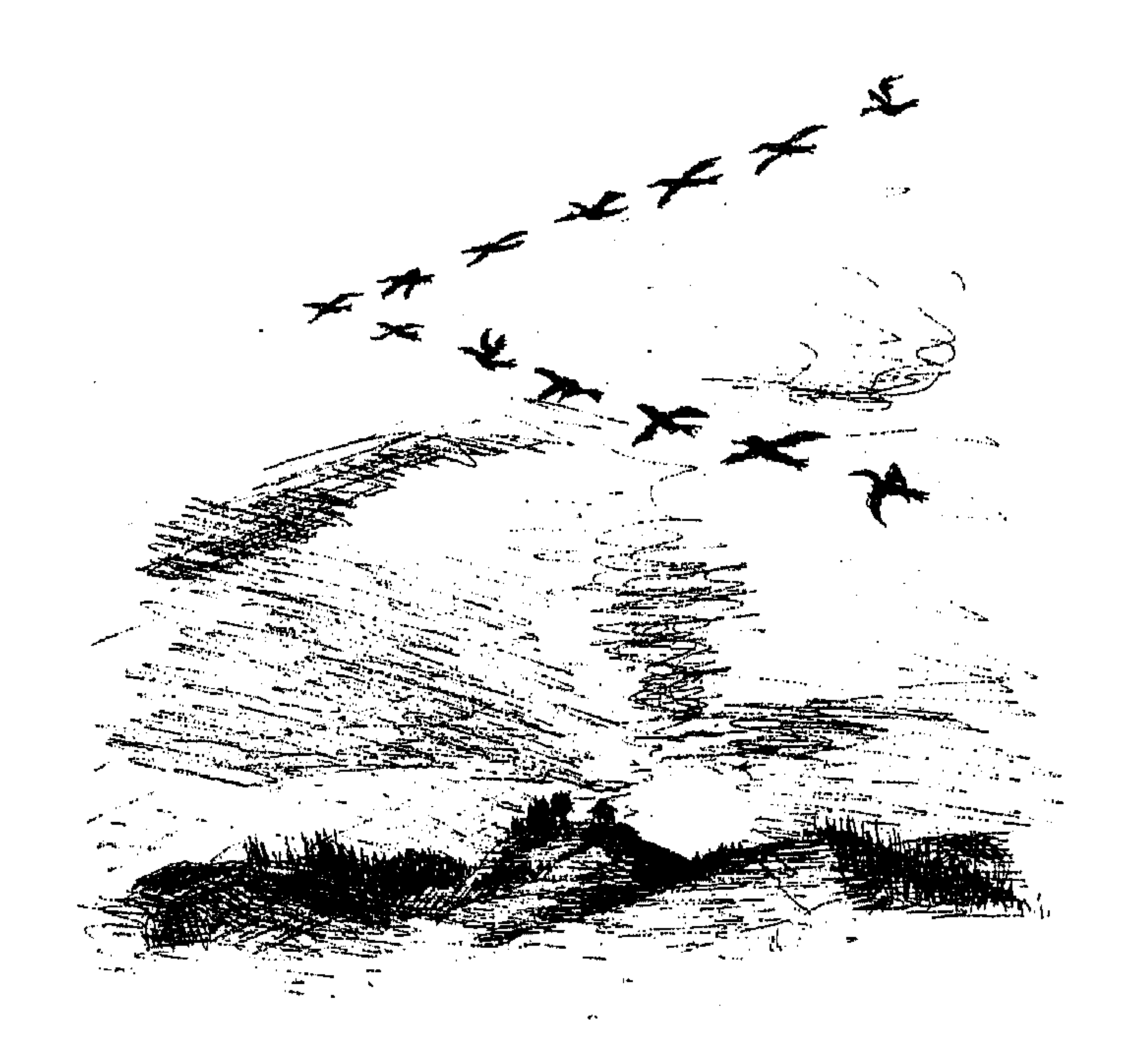
ومن المعروف أن الطيور في تشكيل «٧» تستطيع أن تطير لمسافة ٤٠ ٪ أبعد من طيرانها منفردة. إن موقع قيادة السرب يتغير باستمرار لأن الطائر الذي في المقدمة لا يملك تياراً صاعداً ويتعب بسهولة. فيتناوب موقع القيادة، يعمل السرب بروح الفريق للحفاظ على قوة كل طائر.

وبينما كنت أشاهد هذه الطيور وهي تشق السماء في المغيب، ساءلت نفسي: «هل أنا أطير كعضو في سرب، في المكان الصحيح بحيث أحلق تياراً صاعداً لمن يتبعني؟ وفي نفس الوقت، من هم الذين

يسبقونني خالقين لي تياراً صاعداً لتوفير قوتي؟ هل أقوم بدوري في جسد المسيح حتى نطير جميعاً لمدى أبعد؟ هل أنا على استعداد للقيام بدور القائد بدون تيار صاعد وأتفق مزيداً من الجهد والطاقة عندما يستلزم الأمر ذلك؟ هل هناك اتصال جيد بيني وبين من يسبقني ومن يتبعني حتى يستفيد الجميع؟»

إننا نشبه سرب طيور تهتم ببعضها البعض إذا كنا نبتغي الوصول لمدى أبعد وارتفاع أعلى؛ ونصل في النهاية إلى هدفنا المنشود. ويقول الكتاب المقدس: «لا يهتم كل واحد بما لنفسه بل بما لآخرين أيضاً».

«يسوع الحبيب، لقد قدت الطريق منذ البداية. شكراً لك من أجل كل تيار صاعد توفره للسرب بأكمله. كم أشعر بالامتنان لكل الرجال



والنساء في تاريخ الكنيسة الذين خلقوا تياراً مماثلاً لنا. والآن وأنا أطير، دعني لا أخرج عن الخط لكي أستفيد من الآخرين وأكون عوناً في نفس الوقت لأولئك الذين يتبعونني من خلف».

حر أو سجين

كان المنظر رهيباً. أبراج مراقبة، أسوار من الأسلاك الشائكة وجنود مدججون بالأسلحة الثقيلة يحيطون بالمكان. كان بإمكاني سماع نباح كلاب الحراسة ورنين الأبواب الحديدية من على بعد. لاشيء في هذا العالم يقدر أن يجعلني أتقبل فكرة التواجد في هذا السجن الروسي المعتم الكئيب.

حضرت إلى هذا المكان مع فريق من سويسرا لنشر كلمة الله في روسيا الملحدة. أعطانا الله نعمة أن نصل إلى هذا المجمع الأمني الكبير. وبعد إجراءات تفتيش صارمة وسلسلة من الأبواب الموصدة، وجدنا أنفسنا في مكتب المدير الذي يعاين هذه القلعة. إنها بحق تجربة محطمة للأعصاب. ماذا لوتم إيداعنا هنا بناء على ادعاءات كاذبة؟ لو حدث ذلك، فسوف ننضم إلى صفوف المئات من المؤمنين الشهداء الذين ابتلعتهم السجون الروسية ولم يظهروا أبداً.

كانت صورة «لينين» – المضطهد الرئيسي للمسيحيين – معلقة فوق المكتب. ومع ذلك فقد استقبلنا المدير استقبالاً حاراً قائلاً: «نحن في غاية السرور بسبب مجيئكم لتقدموا للمسجونين رسالة رجاء».

كنت مشدوهاً من ابتسامته ودفء كلماته ففكرت:– «كيف تغيرت الأمور بهذه الروعه!».

فمنذ بضعة أشهر فقط، كان بعض اخواتنا المسيحيين الروس

يعـانون داخل نفـس هذه الأسـوار التي يسـتـقـبلنا مـديرها الآن بكل ترحـاب.

ألقيت نظرة على الفناء، فـتبينت النزلاء وهم يسوقونهم كـالقطيع داخل المجمع ليشهدوا العرض الذي نقدمه. كانوا يجرون أقدامهم في تثاقل ليصطفوا صفوفاً حسب أوامر الحراس. كانوا يبدون برؤوسهم الحليقة وعيونهم الغائرة كأنهم خارجون توا من القبر. وارتدي كل واحد ملابس السجن الرثة داكنة الزرقة، كما رأيت الكثيرين منهم يحدقون من خلال القضبان الحديدية ليخطفوا نظرة إلى السماء الزرقاء والمزارع الخضراء في الخارج.

نزلنا لأسفل واختلطنا بهم وتحدثنا معهم بواسطة مترجمين أحضرناهم معنا. وبينما كانوا يشاركوننا الحديث على استحياء، تقدم أحدهم نحونا ببطء وهمس قائلاً: «هل تعلمون أنه يتبقى لي هنا ٢٠سنة أخرى؟» عشرون عاماً، عمر آخر، في هذا المكان القذر الذي لا يصل إليه أحد! كم رق قلبي لهذا الرجل!

وفجأة، لمحت بطرف عيني شقراء رائعة الجمال تسير عبر المجمع. كانت بعض أجزاء شعرها تتلألأ مثل الذهب المجدول في شمس الأصيل. وكانت – على عكس السجناء – تبدو مشرقة وبصحة جيدة تتمتع بدفء رائع في الفراء الذي يغطيها من الرأس إلى القدم. وتقدمت على مهل بكل إشراق لتتمشى وسط أولئك البؤساء الذين تعلقت عيونهم بقوامها الرشيق الدقيق.

لقد كانت تسير كالقطة! بخطوات واثقة وبكل جلال لتجوب ردهات السجن، وتدخل وتخرج من خلف القضبان الحديدية في حرية

تامة. ولم تشكل الأسلاك والأسوار العالية أي عائق أمامها؛ فقد كانت تعيش في عالم آخر.

كانت هذه الشابة بالنسبة لي رمزاً للحرية التي ننالها في المسيح. فكم عشنا مثل السجناء مقيدين ومحاطين بالعوائقِ من حولنا. حتى جاء الرب يسوع ليهبنا الحرية لنعيش في عالم آخر وبعدٍ مختلف.

«أشكرك يايسوع لأنك أطلقتني حراً من قيود هذه الأرض. ساعدني أن أعيش في الحرية والإطلاق الذين منحتني إياهما.



الدليل

تتوهج شاشة العرض الزرقاء بضوء خفيف. وتجري علامة السطور البيضاء بسرعة من سطر إلى سطر بينما أكتب النص على الكمبيوتر. أستطيع بلمسات قليلة على لوحة المفاتيح أن أغير شكل الحروف أو أحرك النص أو أحفظه أو ألغي بعض الفقرات بأكملها.

إن الكمبيوتر اختراع عجيب، وكم هوسهل الاستخدام! فقد عبأه المصممون بكافة أنواع الأوامر التي يمكنك تنفيذها بلمسة أصبع على زرار. بل إن هناك زراً يدعي «العون». أستطيع عن طريقه أن أحصل على كافة التفسيرات التي تعينني في المهمة التي أنا بصددها.

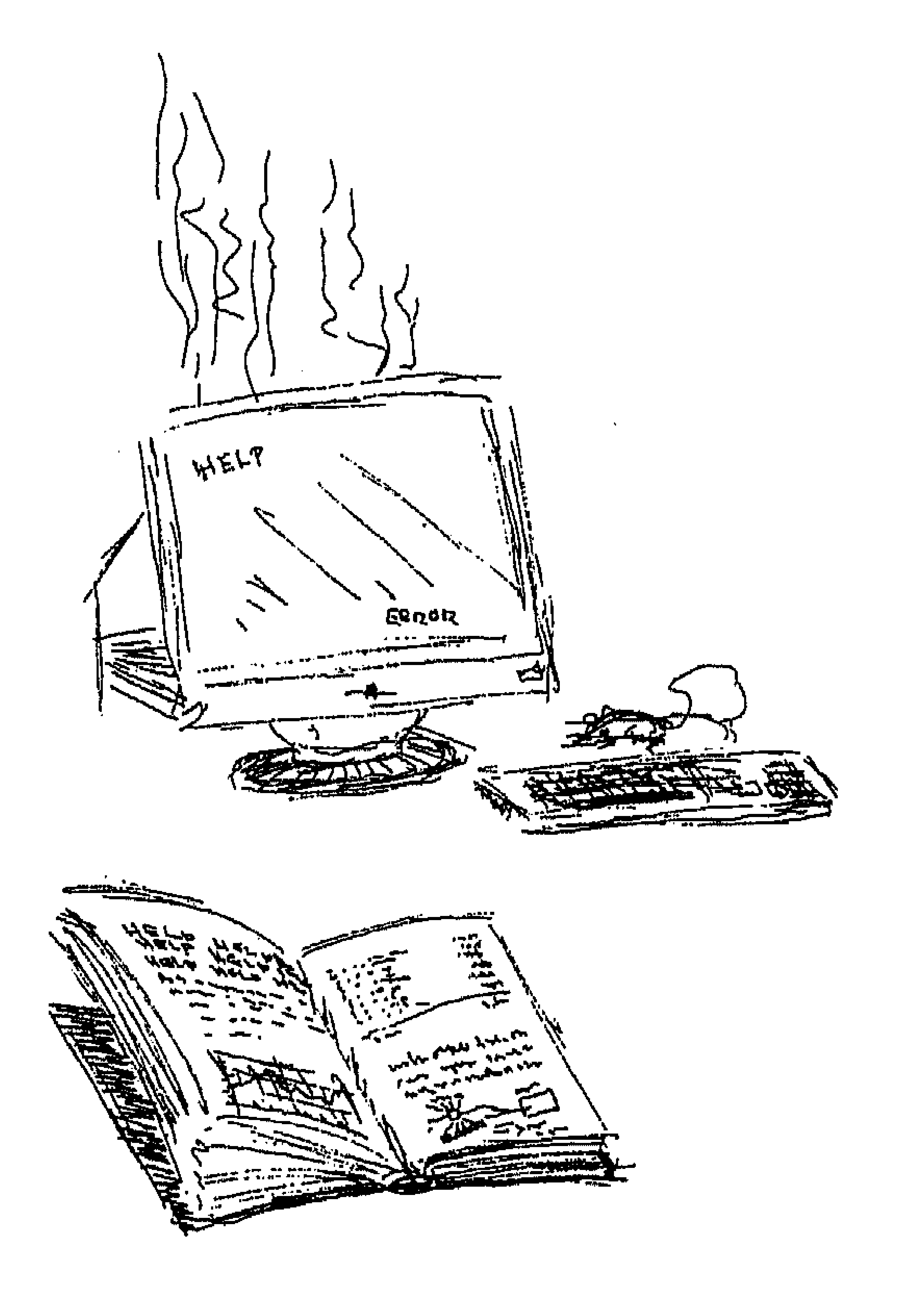
ومع ذلك، ففي بعض الأحيان لا تكفي الأوامر الموجودة على لوحة المفاتيح. فأضغط على هذا الزر وذاك لكن بدون فائدة، ولا حتى زر «العون» بقادر على إيفائي بالمعلومة المطلوبة.

في مثل هذه الظروف أرجع إلى كتيب الدليل. فهذا الكتاب الضخم يحوي بين دفتيه كل ما جمعه وصنفه المصمم في مئات الصفحات . إن التنقل من فصل لآخر قد جعلني مقتنعاً أن هذا الكتاب يحتوي بحق على كل الإجابات لكل الأسئلة التي يمكن أن تخطر على بالي بخصوص الكمبيوتر. فهو يصف بتفاصيل دقيقة كل خطوة يجب أن أفعلها لأنجز هدفاً ما.

ومع ذلك فإن قراءة وفهم هذا «الناطق بلسان الكمبيوتر» يستلزم

وقتاً وتركيزاً كبيرين. فلا جدوى من محاولة الحصول على المعلومة في استعجال. بل عليَّ أن أتبع التعليمات وأضغط على مفتاح تلو الأخر في تتابع صحيح حتى أصل إلى هدفي في النهاية. فإذا كانت استشارة كتيب العمليات مستنفذة للوقت، إلا أنها ذات أهمية قصوى إذا كنت أريد إنجاز العمل.

وهذا بالضبط ما يحدث في حياتنا المسيحية. فكم من مرة صرختنا طالبين «العون» من الآخرين، لكن عونهم يأتي غير كافٍ. فلا نحصل على المزيد حتى نلجأ إلى الكتاب الذي وضعه الصانع الأكبر: الكتاب



المقدس. إنه يستلزم وقتاً، وللأنتفاع به علينا أن نتبع التعليمات خطوة بخطوة. حينئذ – وحينئذ فقط – نحصل على البصيرة التي نحتاجها لمواصلة طريقنا في الحياة.

«أشكرك يارب على دليل التشغيل الذي أعطيتنا إياه في كلمتك المقدسة. ساعدني أن أقرأه باستمرار وأتبع تعليماتك لي من خلاله».

الغبار

لم تُغَطِّ الرمال ذات اللون الأصفر الضارب إلى الحمرة كل المنطقة الريفية المحيطة فحسب، بل التصقت بجسمي الرطب ودخلت إلى ملابسي بل وصلت حتى إلى فرشاة أسناني. لقد تغلغلت في الجو وتسببت في غمامة أعاقت الرؤية حتى آخر الأفق. كنت في أفريقيا على حدود الصحراء الكبرى حيث تعود الناس على الحياة في وجود هذه الشبورة الرملية. لكن الأمر كان مختلفاً جداً على بعد آلاف الأميال في بلدي حيث الهواء نظيف ومنعش؛ هكذا كنت مقتنعا.

وبعد عدة أسابيع عدت إلى أوربا حيث وصلت في منتصف الشتاء. كانت الثلوج قد سقطت وهي فرصة للتمتع بالتزحلق. أعددت العدة وزوجتي وقصدنا المرتفعات التي بدت من على البعد بيضاء لم يطأها أحد. ومع ذلك وكلما دنونا منها أخذ الجليد يفقد لون بياضه الأصلي. وتبينت ذلك الظل الأصفر الضارب إلى الحمرة فوق المنحدرات؛ بل لقد بدت جوانب الجبل بنية اللون في ضوء الشمس الساطع.

قالت إليان إن الرياح كانت تصفر لمدة أيام وأضافت: «إنها رياح الصحراء الكبري». لقد تسببت حالة من الطقس فوق أسبانيا في هبوب هذه الرياح على سويسرا. نشطت هذه الرياح فوق الصحراء في شمال أفريقيا وحملت معها ذرات الغبار وعبرت بها فوق البحر المتوسط على

ارتفاع ١٢ كيلو مترا ثم حطت بها على جبال الألب الثلجية لتصبغ المنحدرات بلون الصدأ.

يا له من أمر مدهش أن تتحرك الرمال التي قابلتها في أفريقيا كل هذه المسافة!

لقد جعلني ذلك أفكر فيما قاله الكتاب المقدس عن الذين يتحركون بفعل روح الله. «الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها... لكنك لا تعرف إلى أين تذهب ...» إن الله في سيادته العليا ينفخ بروحه حيث يشاء. وتساءلت: «هل أنا مرن ومتحرك بما يكفي لأن يرشدني الروح القدس فأذهب إلى أي مكان يريدني فيه؟ هل أنا على استعداد لزيارة جاري أو أن أسافر مسافات كبيرة لأحمل الأخبار السارة لمن لم يبشروا بها؟ هل أنا مستعد أن أجعله السيد المطلق على حياتي؟

«أبي السماوي، أشكرك من أجل إرادتك العليا ومن أجل قيادة حياتي برياح روحك. ساعدني ألا أقاوم تحريك روحك لي».



النمو

شيء مدهش. لقد ولدت قطتنا ثلاث قطط مختلفة، واحدة بيضاء وأخرى سوداء والثالثة رمادية. وكان بإمكاننا ملاحظة التباين في سلوكهن ونموهن. فلايكاد يمر أسبوع وأحيانا يوم واحد دون أن تطرأ تطورات جديدة. وبالفعل، كان بإمكان تلك الكائنات الضعيفة بعد قليل من ولادتها نحو ثدي الأم لتبدأ الرضاعة. لم تكن ترى أو تستطيع السير ومع ذلك فقد عثرت على محطات تغذيتها.

وبملاحظتنا لهن أدركنا أن لكل واحدة مكانها المحدد الخاص بها. فبرغم نظرها المحدود كانت كل واحدة تتجه دائما إلى نفس مصدر غذائها. وبالتالي، بدا التجانس والرضا عليها جميعاً. ولجأت زوجتي إلى كتاب عن القطط وعرفت منه سر هذا السلوك. فالوليد الصغير يعرف محطة تغذيته الخاصة عن طريق حاسة الشم وبذلك يبقى كل واحد مرتبطاً بمكانه الخاص.

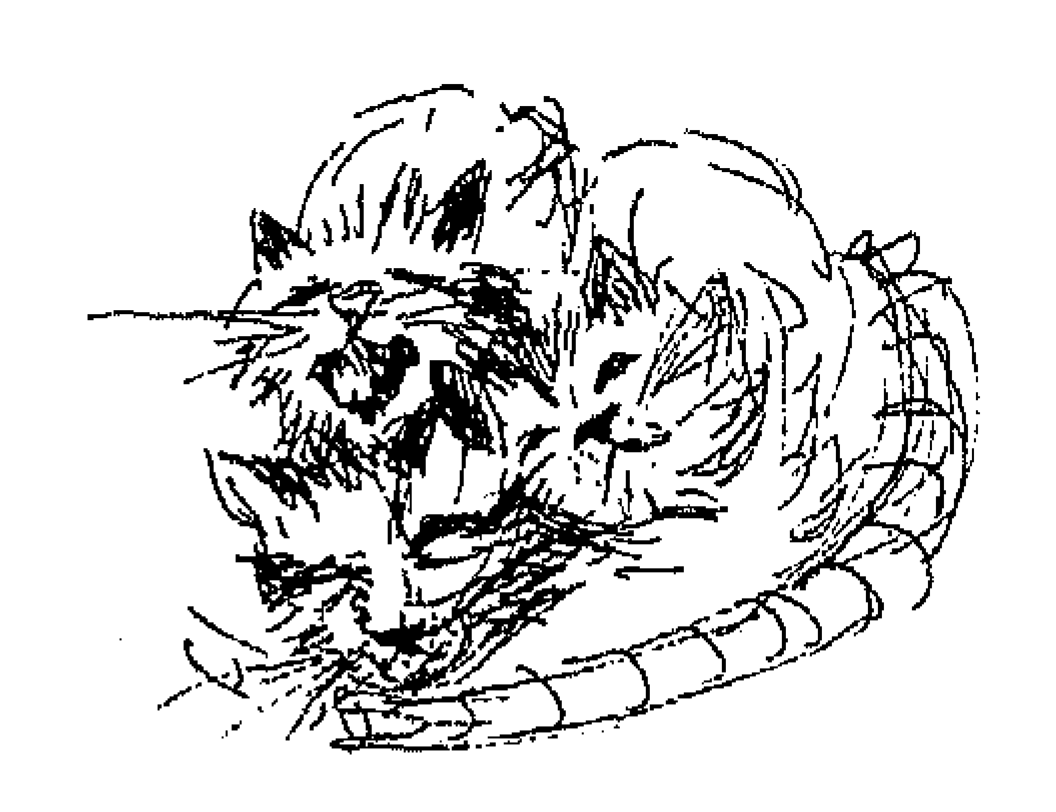
تعلمت من ذلك درساً أن أكون في حالي ولا أخرج عما يخصني. آه لو أمكنني البقاء في شئوني ولا أتدخل في أمور الأخرين! سيسهم ذلك من جهتي في استتباب التناغم والتوافق في عائلة الله. إذ يعلمنا الكتاب ألا نحشر أنوفنا فيما يخص الآخرين بل نبقى في حالنا. شئ آخر أدهشني بخصوص القطط ألا وهو سرعة نموها. فبعد أيام قليلة من ولادتها تعلمت أن تقف على أقدامها. نعم إنها ترتعش وتتمايل وتقع

كثيراً، لكنها تعلمت بعد وقت غير طويل كيف تسير. في البدء كان الأمر عبارة عن خطواط مرتعشة قليلة تؤدي إلى سقوطها والعودة إلى الحبو. لكنها كانت تعاود الوقوف والمحاولة وتكرر هذه العملية كثيراً حتى تسقط من الإجهاد وتنام بعمق.

أعطينا القطط غذاء إضافياً بجانب لبن الأم فكان نموهن غير عادي. ويوماً بعد يوم أخذت القطط تتوسع في حدود استكشافها. وبدأت تجري بالرغم من عدم بلوغها الأماكن المرتفعة. وفي خلال أيام بدأت القفز من على ارتفاعات صغيرة. ثم لم يعد ارتفاع الكرسي يشكل أي تحدٍّ لها وأصبحت أشجار الحديقة مكان لعبها المفضل. وكان لها كل يوم مغامرة جديدة وأكبر حتى صارت في النهاية تحدق لنا من فوق سطح البيت.

لم أستطع إلا أن أقارن نفسي بهذه القطط. هل كان نموي الروحي واضحاً للآخرين؟ هل كان بإمكاني اتخاذ مخاطرات اكبر حتى أصل إلى أعلى الارتفاعات؟ ماذا بلغت بالقياس إلى وصية الكتاب: «ليكن صلاحكم معروف أمام جميع الناس، فيروا سيرتكم الحسنة (ونموكم)..

«يارب، دع نموي فيك يصبير مثلاً واضحاً للآخرين. علمني أن أثق بك؛ وأن أقوم بتلك المخاطرات المحسوبة وأوسع تخومي».



نظرة إلى هؤلاء

جلست في ردهة المطار أنتظر النداء على طائرتي بين لحظة وأخري. الناس من حولي إما يقرأون أو يتسوقون أو يجلس معظمهم مثلي منتظراً.

وفجأة حدث هرج وأطلت الرؤوس إلى مجموعة من رجال الأعمال المهمين يتحركون في الصالة. كانت خطواتهم الواثقة تنطق بالهيبة والكبرياء، ووضح عليهم الانشغال بأمور أعمالهم بينما كانوا يخطون نحو بوابة الخروج. إلا هذا الرجل الوحيد بينهم الذي بدا مسترخياً هادئاً غير متأثر بالارتباك الحادث من حوله. نظرت إليه مرة، ثم نظرت مرة أخرى ظاناً أني ربما أخطأت. لكن لا، أنا على حق! إنه هو! هو«نلسون مانديلا» بنفسه، ذلك القائد الديناميكي الأسود الذي أمضى ٢٣ عاماً في السجن بسبب نضاله ضد النظام العنصري. والآن قد حملته رياح التغيير لأن يصبح رئيساً لجنوب أفريقيا.

اندفع معاونوه ومستشاروه بسرعة في طريقهم إلى الطائرة. لكن «نلسون» واصل تجواله بكل هدوء وبساطة. ثم وقعت عيناه على رجل في كرسيه المتحرك. فذهب اليه وتوقف أمامه وتبادل معه بضعة كلمات قبل أن يتجه أخيراً إلى البوابة. ولقد تأثرت أيما تأثر. فهذا الرجل من أهم رموز هذا الوطن، ومع ذلك فقد أفسح وقتاً لهذا المقعد الغريب ليتحدث معه.

فحصت نفسي في ضوء هذه الحادثة. لقد تعرضت كثيراً في أسفاري من أجل عمل الرب لاحتياجات الناس. ومع ذلك ففي زحمة اهتمامي بإنجاز العمل، نادراً ما صرفت الوقت لملاحظتهم والاهتمام بهم أو لمجرد توجيه كلمة تشجيع لهم.

لم يفعل نلسون مانديلا ذلك ليترك انطباعاً لدى الآخرين. فلم تكن هناك كاميرات ولا صحفيون ينتظرون لتسجيل أفعاله، بل كانوا جميعاً حينئذ في الطائرة. لكن «نلسون» كان عنده إحساس أصيل بالناس فقد تأثر بالتعذيب والعزل والإيذاء مدة ٢٣ عاما في السجن وتشكل داخلياً بحيث يلتقط فوراً أي إحساس بالألم ويتجاوب معه بحس إنساني شديد. وماذا عنا؟ هل جعلتنا الصعاب التي مررنا بها أكثر شفقة وأكثر شبها بالمسيح؟ أم أصبنا بالمرارة والامتعاض مهتمين بآلامنا الشخصية واحتياجاتنا وحدنا؟



«يارب، اجعل عيني متنبهة للمتألمين والمحتاجين في كل يوم. احفظني من الإحساس بالانشغال والاندفاع وراء اهتماماتي فلا أفسح الوقت للتوقف أمام أولئك. بل بالعكس، دعني أتلامس معهم بحياتك أنت بحيث يعود المجد لك وحدك».

عربة الجياد

كنت أسمع صوت النفير من بعيد، فقد كانت الجبال تردد صداه. مد الناس أعناقهم متوقعين الوصول بين لحظة وأخري. وأخيراً ظهروا في الصور – خمسة جياد بيضاء تجر العربة المثبتة بدقة فوق المنصة الخشبية.

دار هذا الحدث في اكثر نقاط العبور استراتيچية في أوربا وهو طريق جوتار. فالكثير من المسافرين قد استخدموا هذا الطريق عبر العصور بما فيهم السويسريون الذين كان يركبون العربات التي تجرها الجياد مثل التي نظهر الآن أمامنا.

جلس حوذيان بملابسهما التقليدية على المنصة الخارجية، يقودان الجياد، بينما جلس ثمانية مسافرين يستمتعون بهذه النزهة الفريدة عبر ممرات الجبل. لقد كانوا يعيدون تمثيل الرحلة التي تقطعها عربة جوتار البريدية.

كان منظراً يستحق المشاهدة وهم يدورون مع الطريق إلى أعلى من الوادى فوق الطريق الحجري. ها قد وصلوا الآن إلى قمة الطريق وحان وقت الراحة. وحظى المسافرون بغداء لذيذ وكذلك الجياد التي خلدت للراحة.

كان المشهد فريداً حتى إن مئات من الناس قد أوقفوا سياراتهم واندفعوا يشاهدون وصول العربة. وتساءلت: «ما الذي جعل الناس

يقطعون كل هذا الطريق؟» «وماسر هذه الآهات وصيحات الإعجاب بهذه الوسيلة البطيئة للنقل؟» .ومع ذلك فقد تمنيت أن استمتع أيضاً أنا وزوجتي برحلة اليوم الواحد على تلك العربة، إذا كان السعر يسمح طبعاً!

إن كل من أوقفوا سياراتهم يعرفون هذا الطريق جيداً، فقد صعدوه بسياراتهم. لقد مررنا بنفس الشوارع وقطعنا نفس المسافة بل إن هناك فارقاً هاماً وهو أننا فعلنا ذلك في ساعة واحدة بينما قضيت العربة يوماً كاملاً.

ربما كانت هذه التمثيلية دليلاً على أن الحياة تمضي بسرعة بإنسان القرن العشرين. كان لديّ إحساس بأن كل هؤلاء المحدقين إلى العربة يريدون في داخلهم أن يبطئوا. يتمنون أن يقطعوا الطريق القديم بسرعة متمهلة. يودون لو ينظرون إلى الزهور ويسمعون أجراس الأبقار بل ويشمون سماد المواشي. ليتهم يمنحون أنفسهم فرصة الإصغاء إلى خرير المياه في الجداول ومشاهدة الحيوانات الصغيرة وهي تمرح في شمس الصيف ينتظرون من داخل تلك العربة المفتوحة إلى القمم المغطاة بالثلوج وأنهار الجليد يحدقون في ماعز الجبال وهي تصعد التلال.

أعتقد أنه كان يدور بعقل يسوع كل ذلك عندما طلب من التلاميذ أن ينسحبوا إلى موضع خلاء ويستريحوا. ستغنى حياتنا لو فقط منحنا أنفسنا فرصة للمتهيل قليلاً.



«يارب يســوع، عنــدمــا تريدنــي أن أبطــئ ســاعــدني أن أسمع صوتك. علمني كــيف أترك العــالم جــانبــاً وأريح نفــسي فيك» .

الحذاء

ما إن استدرت عند الناصية حتى وجدت ذلك الإسكافي جالساً على جانب الطريق يصلح أي حذاء لقاء مبلغ زهيد. كنت في إحدى المدن الأسيوية حيث الأجور والمرتبات أقل بكثير من الأجور في موطني سويسرا. فلم لا أصلح حذائي هنا وأوفر مبلغاً كبيراً؟

نظرت إلى ساعتي. كنت في طريقي إلى المطار عائداً إلى أوربا. فكان عليَّ أن أزن الأمر جيداً ما له وما عليه. فهل يمكن أن ألحق بالطائرة في الوقت المحدد؟ وقلت لنفسي: « بالتأكيد سيكون أمامي متسع من الوقت حتى وزن الحقائب.

وهكذا خلعت حذائي ووقفت على الرصيف بالشراب مراقباً عملية الإصلاح. كنت أخطف النظر إلى ساعتي من وقت لآخر، ثم أدركت بعد فترة أنه برغم رخص الأجر فإن سرعة إنجاز العمل ينقصها الكثير. أخذت أحث الرجل على الإسراع مدركاً استحالة ذهابي إلى المطار بحذاء نصف مخلوع ونصف مصلح. ومرت الدقائق وتوالت بقسوة. وأخيراً تم لصق النعل الثاني ودق آخر مسمار في مكانه. ألقيت بالعملة الصغيرة إلى الإسكافي وجريت أستوقف سيارة أجرة لأصل المطار بأقصى سرعة.

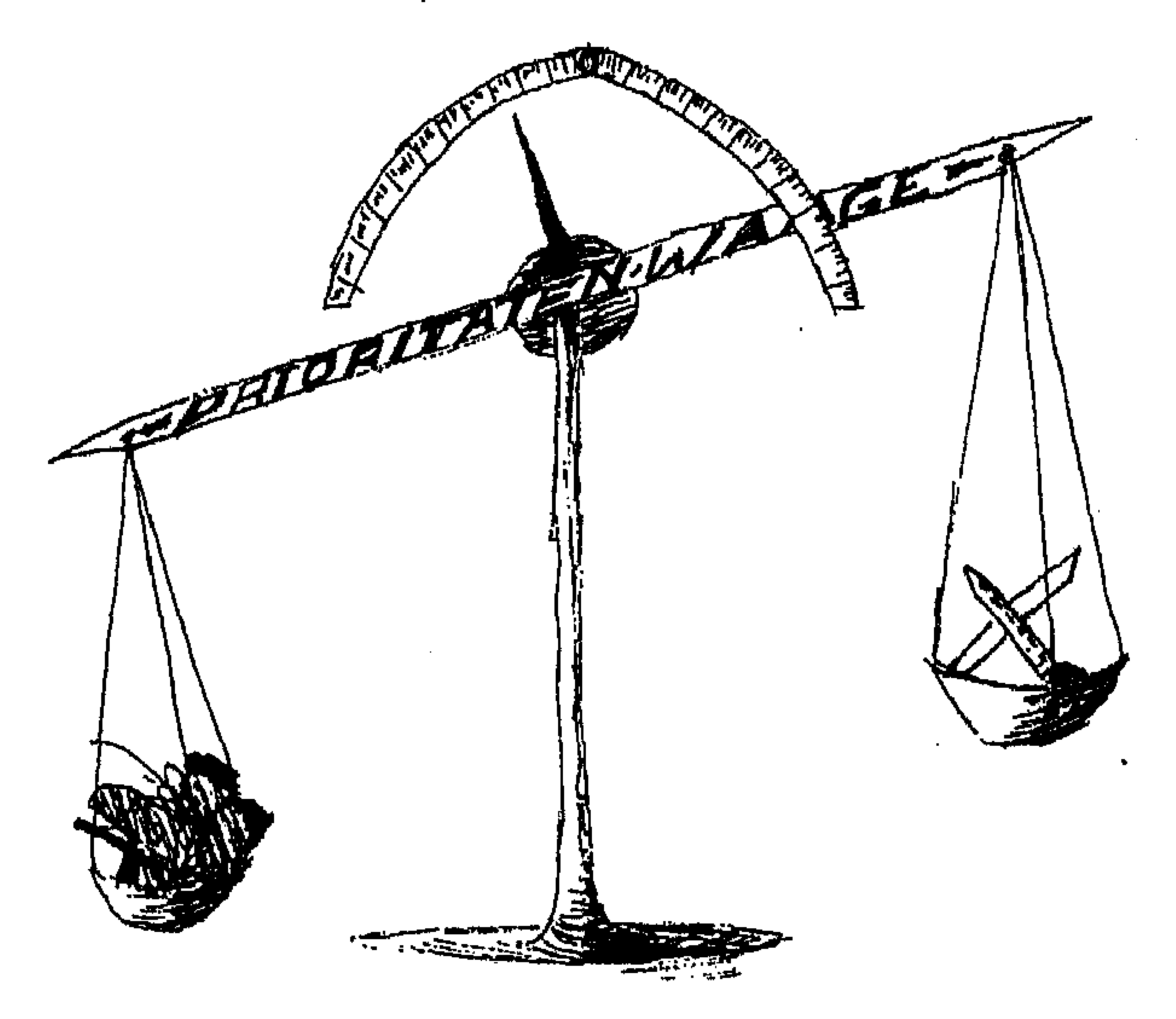
في المطار شاهدت مكتب الشركة وقد تم الإعلان عن الرحلة إلى أوربا جريت مقطوع الأنفاس نحو المكتب لأجد أنه مغلق وأن الطيارة

أغلقت أيضاً وتستعد للإقلاع. قال لي المضيف الأرضي: آسف، مستر «لاك» فقد تأخرت كثيراً.

عدت إلى المدينة مغموماً وغاضباً من نفسي بشدة. فتذكرة الطيران لايمكن تحويلها إلى أي خط آخر وكان عليّ أن أشتري تذكرة جديدة تماماً لأخسر بذلك مبلغاً كبيراً.

لقد كلفني رخص إصلاح الحذاء مبلغاً لم أتكبد مثله أبداً. وبينما كنت أتجول في المدينة طوال يومين في انتظار الرحلة التالية، أدركت بألم أن أولوياتي كانت خاطئة تماماً. فبتركيزي على توفير ذلك المبلغ القليل ربحت بضعة دولارات، وخسرت مئات أخرى في التذكرة. لقد غطت الرؤية الضيقة على الرؤية الرحبة. كم هو حيوي الاحتفاظ بالأمور في ترتيبها الصحيح!

«يارب ساعدني أن أضع أولوياتي في الترتيب الصحيح،
حتى لا أخسر رؤية الأشياء التي تستحق بحق».



روح الخدمة

تلقينا دعوة للخدمة في صباح أحد في قاعدة أمريكية. وما إن دخلنا القاعة قبل الخدمة حتى فوجئنا بمنظر غريب. كانت علب الكوكاكولا والبيرة الفارغة ملقاة على الأرض التي انتشرت عليها أيضاً أكياس الفشار بينما تناثر الفشار بين المقاعد. وخيل إليّ أن حرباً بالفشار قد نشبت بين الجنود البواسل.

لابد أن هذه القاعدة ترانيم الحمد النابعة من شعب الله وذلك في خلال ساعة واحدة.

لقد قادنا الضابط الذي دعانا - وهو برتبة كولونيل - إلى القاعة فبدا فوراً أنها تحتاج لنظافة سريعة. وسرعان ما وجدنا أدوات النظافة وأكياس القمامة وانهمكنا في تنظيف الأرض. ولدهشتي رأيت الكولونيل بنفسه يشاركنا هذا العمل.

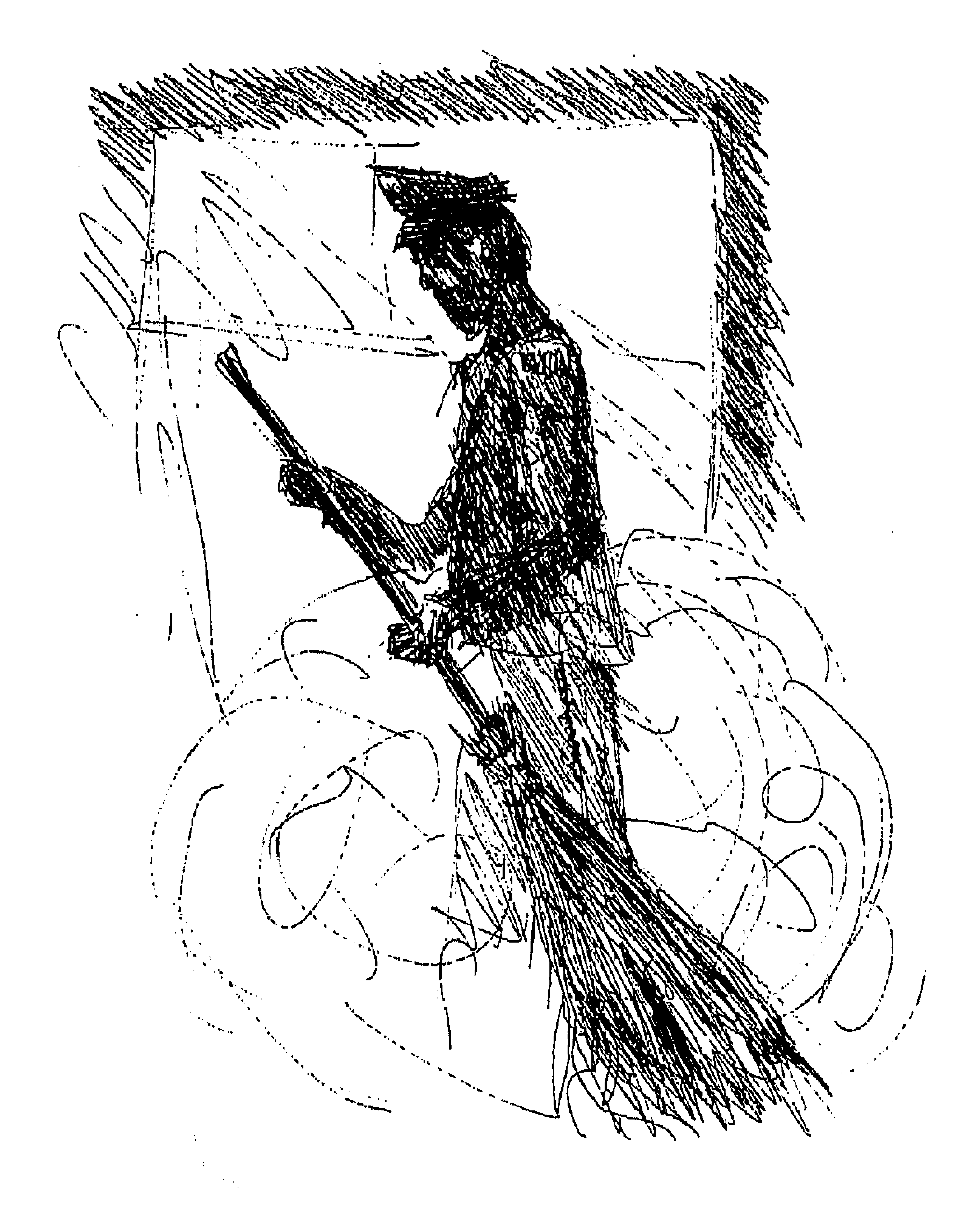
كان يمسك هوأيضاً المكنسة في يده ويكنس الأرض مزيحاً فوضى الفشار وعلب البيرة. وكان يلبس أفضل ملابسه استعداداً لخدمة صباح الأحد لكنه لم يبالِ بالغبار المتصاعد من حوله ولا بآثار مشروب البيرة العالقة بحذائه الذي اجتهد في تلميعه.

لقد صار هذا الرجل بحق واحدا منا. بدا لنا في أول الأمر مجرد عضو محترم في الهيئة العسكرية من ذوي الرتب العليا. لكننا رأينا في عمله هذا أنه ليس فقط أخانا في المسيح بل خادماً رائعاً أيضاً.

لقد تنازل تواضعاً واختياراً إلى مستوى عمل النظافة مع فريقنا حتى يعد القاعة في الوقت المحدد لخدمة العبادة.

قلت لنفسي: «ياله من مثال حى للرب يسوع». لم يأتِ الرب يسوع ليُخدم بل ليخدِم مخلياً نفسه بكل اتضاع صائراً في صورة إنسان.

لقد صار هو أيضاً واحداً منا؛ ليس ملكاً أو كاهنا أو ثرياً صاحب



أرض، بل جاء كنجار بسيط متوحداً مع كل جانب من جوانب قضيتنا الإنسانية. «هللويا... ياله ن مخلص».

«أشكرك يارب يسوع من أجل روح الخدمة الذي علمته لنا.
دعني أتبع مثالك بكل اتضاع».

تأشيرة

قالت موظفة المطار بسرعة وحدة: «الجواز من فضلك». كنت في مطار هيثرو في لندن وعلى وشك السفر إلى الولايات المتحدة. ثم سألتني السيدة:

- «ولكن أين التأشيرة؟»
- «أي تأشيرة، أنا سويسري ولا حاجة لي إلى تأشيرة للولايات المتحدة».
- «بل تحتاج»

ولم أستطع أن أتصور أن يحدث ذلك معي أنا الذي اعتدت على السفر. كانت الطائرة على وشك الإقلاع وبالتأكيد لن أتمكن من اللحاق بها. رجعت إلى المدينة محبطاً وممتلئاً بالضيق. والآن عليّ أن أذهب إلى السفارة الأمريكية وأقف في الصف طلباً للتأشيرة. وليس ذلك فقط، فقد اكتشفت فيما بعد أني أحتاج إلى مرجع في الولايات المتحدة ودعوة مكتوبة.

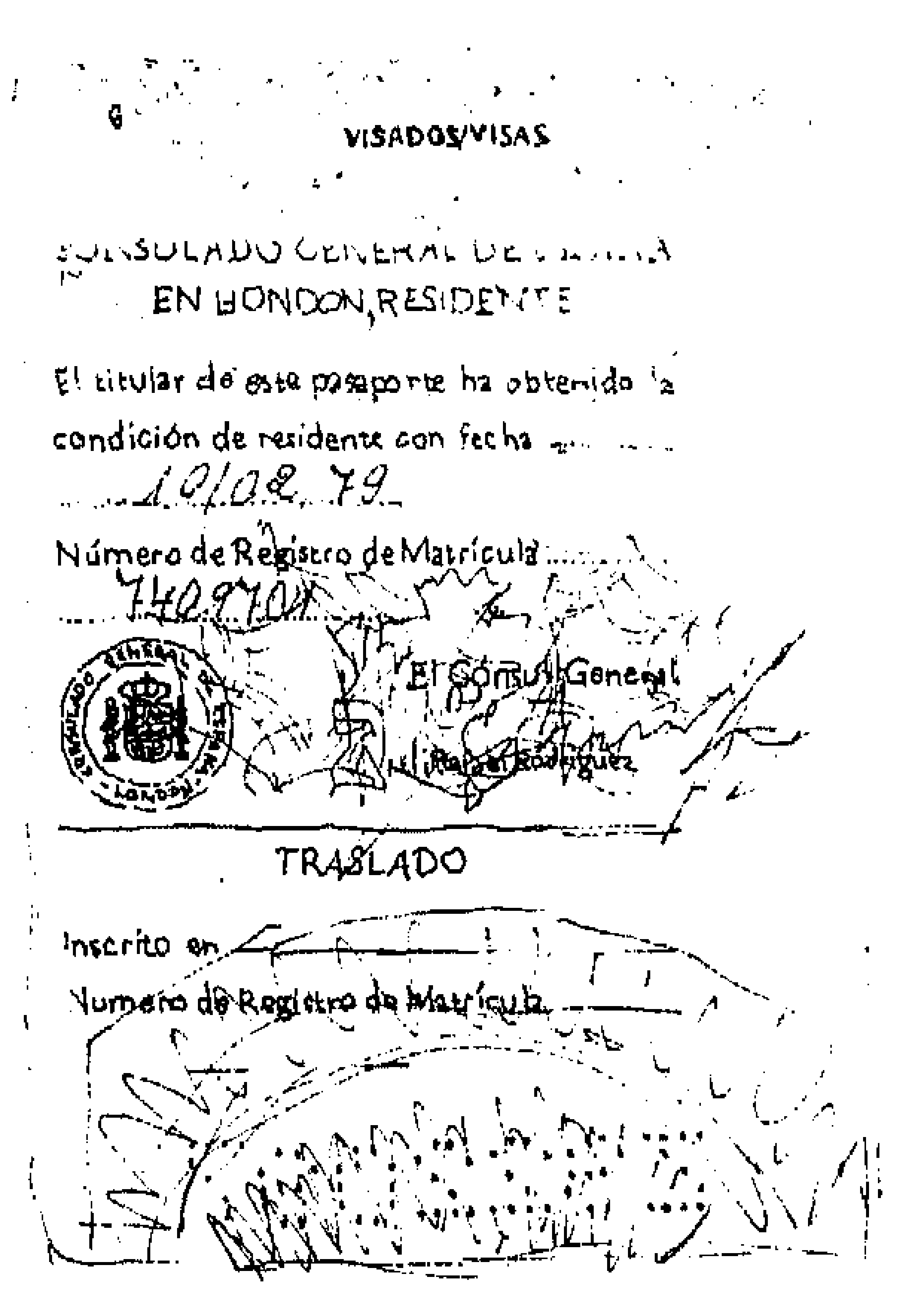
وتدفق سيل من التلكسات ذهاباً وعودة في صراعي من أجل الحصول على الضمان المالي وتشكيلة من الوثائق والمستندات الهامة. وكان عليّ بالإضافة إلى ذلك العثور على مكان للإقامة في المدينة. وأصبت بالإحباط والضيق، فلماذا كل هذا الوقت الضائع والمجهود والتكاليف؟ أمن أجل ختم على جواز سفري؟!

وأخيراً حصلت على وثيقة سفري كاملة وعليها ختم الدخول الهام للغاية. وقرأت على التأشيرة هذه العبارة: «دخول مرات عديدة والصلاحية المدة غير محددة». وقد سرني ذلك جداً، ولكني حتى هذا الوقت لم أكن مقدراً للبركة الكبيرة التي وفرتها لي هذه التأشيرة لمدة ١٥ سنة تالية.

وقد علمت أنه من الصعب جداً الحصول على مثل هذا التصريح.

وذهبت إلى الولايات المتحدة مرات كثيرة على مدى عشر سنوات حتى بدأت أعرف قيمة هذا الختم الصغير. وفي كل مرة كنت أخطط لرحلة إلى أمريكا كنت أتذكر تلك الفترة البعيدة التي ظننت فيها أن فرصي في الدخول قد انتهت. لكن الله في صلاحه قد استخدم مابدا لي خطأ من جانبي ليصنع منه بركة للسنين القادمة.

إذا كنت الآن وسط موقف معين كنتيجة للجهل أو الإهمال، فأبشر! إن الله قادر أن يعمل كل الأشياء للخير للذين يحبهم.


VISADOS/VISAS

CONSULADO GENERAL DE ESPAÑA EN LONDON, RESIDENTE

El titular de este pasaporte ha obtenido la condición de residente con fecha 10/08.79

Número de Registro de Matrícula 7409701

El Cónsul General

Rafael Rodríguez

TRASLADO

Inscrito en

Número de Registro de Matrícula

«يارب، حتى وإن كنت لا أفهم في الوقت الحاضر ما يحدث، وتبدو لي الأشياء كأنها فوضى، فإني أثق أنك تصنع بركة عظيمة ودائمة من خلال هذا الموقف. أشكرك».

الشكل

قطعت نصف المسافة حول العالم طائراً لأعلم في مدرسة للكتاب المقدس تديرها جمعية معروفة. وفي اليوم الأول، بينما كان الطلبة يتخذون أماكنهم التفت إلى إحدى الطالبات وسألتها: «ما الذي جعلك تختارين هذه المدرسة بالذات». قالت: «حسناً، لقد كتبت إلى ثلاث مدارس في ثلاث قارات مختلفة، كانت كل منها تقدم نفس نوعية التعليم. لكن سرعان ما اكتشفت كم تختلف عن بعضها.

عندما وصلني أول رد، كان عبارة عن خطاه مكتوبه على الكمبيوتر يقول: «أيها الطالب المستجد العزيز.. «إن اسمى ليس «مستجد» بل «مدام سميث». ولذلك طويت الرسالة جانباً مع أنها مدرسة جذابة جداً.

أما الإجابة الثانية فقد جاءت داخل مظروف بني مهترىء رث. بدأ الخطاب بالقول «العزيزة كارول»، لكن الكتابة كانت من الرداءة بحيث بذلت جهداً كثيراً لتفسيرها. وفي نهاية الخطاب وجدت ملحوظة تقول: «نعتذر عن الخط الردئ لأن آلة تصوير المستندات بحاجة إلى إصلاح. فإذا كانوا لايخرجون نسخاً جيدة، فكيف يديرون مدرسة ناجحة للكتاب المقدس؟ فنحيت فكرة هذه المدرسة جانباً أيضاً. ثم جاء الرد الثالث في ظرف نظيف من اللون الأزرق السماوي. وكان الخطاب مطبوعاً بطريقة فاخرة. تبينت أنه خطاب معد سابقاً

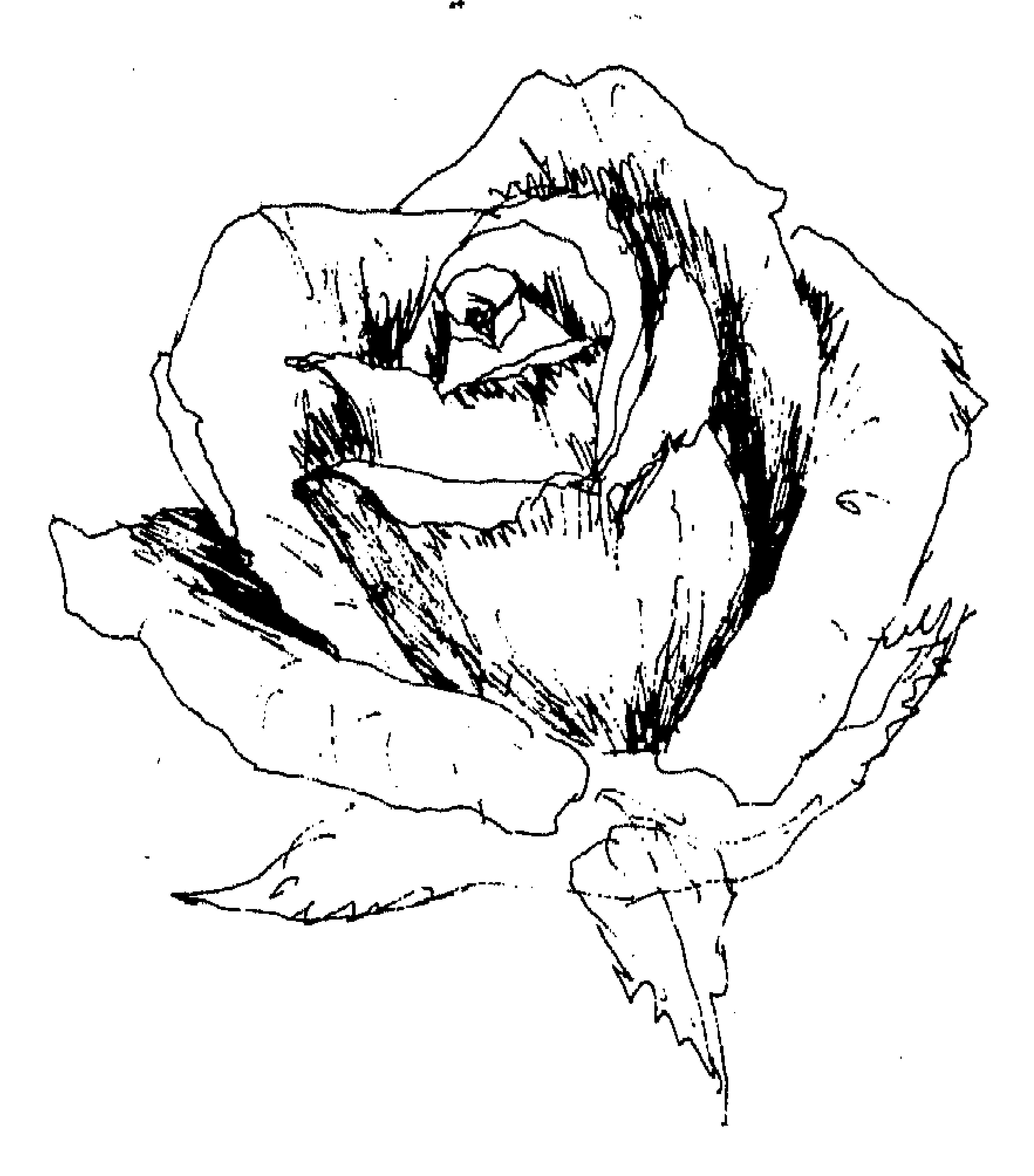
بشكل ثابت لكنه كان يحمل طابعاً شخصياً ومرحب جداً. فأدركت أن هؤلاء الناس يملكون حساً ورغبة في الاتقان ومقاييس للتميز ويهتمون بطلابهم. فعرفت أنهم قادرون على إدارة نوعية عالية من المدارس ولذلك أنا هنا»

أثناء استماعي لها أدركت الأهمية الحيوية لمظهر وجودة عملنا.

إن طريقة تناولنا الشخصية لكل مهمة شيء في غاية الأهمية. وقلبت صفحات الكتاب المقدس لأجد كلمة حكمة من الله بخصوص هذا الموضوع:

«معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس»

«ساعدني يارب أن أتخذ مقياس الامتياز هدفاً، وأن أقترب من الناس اقتراباً دافئاً حتى يتمجد اسمك في كل ما أعمله».



زيادة عن اللزوم

أين أستطيع أيضاً أن أخفي مزيداً من الكتب المسيحية؟ تحت مقعد السيارة أم في جيب الباب أم بين الملابس في حقائبي؟ كنت أعرف أن أي كتب مسيحية يمكن تهريبها عبر حدود تلك الدولة الشيوعية ستنال تقديراً عظيما من الكنيسة السرية هناك.

كنت ورفقائي بصدد رحلة إلى هذا البلد. وكانت مجموعة من المسيحيين قد رتبت هناك خدمة شرائط واحتاجت بشدة إلى جهاز تسجيل دقيق. فطلب منا أن نحمل هذا الجهاز معنا كمجموعة سياحية عند عبورنا الحدود. وتم وضع الجهاز بين الملابس بصورة لاتثير أي شبهة. ثم تبقى مكان كبير، فلماذا لا نجعل للرحلة قيمتها ونحمل أيضاً كتباً مسيحية؟ وعبأت كل فراغ وجدته بالكتب والمجلات المسيحية. وعلى كل حال لم تكن هذه أول رحلة لي وكنت أكثر من واثق في إمكان عبورنا الحدود بتلك الحمولة الكبيرة. اندهش رفقائي في الرحلة وتساءلوا في عصبية هل نحتاج حقاً لأخذ كل هذه الكتب؟ وهل هناك أمر إلهي يحتم علينا ذلك؟ لقد طلب منا حمل جهاز تسجيل ألا تشعر أنك قد ذهبت أبعد من المطلوب؟ صرفت النظر عن مخاوفهم وواصلت شحن السيارة حتى شعرت أننا جاهزون للتحرك واقتربنا من الحدود بحمولتنا وأخذت قلوبنا تخفق بشدة في انتظار التفتيش. أقبل مسئول الجمرك وأمرنا بإيجاز: «افتحوا صندوق السيارة الخلفي. أطلقت تنهيدة

ارتياح خفية حينما أشار إلى حقيبة معينة لفتحها. فقد اختار الحقيبة التي لا تحوي إلا الملابس. وفجأة شعرت بعرق بارد إذ أدركت ما ارتكبته. ففي غمرة انفعالي وحماستي خبأت بعض الكتب القليلة بين الملابس في تلك الحقيبة. سوف يكتشف كل شيء الآن! وهذا ما حدث بالفعل. عندما رأى المسئول الكتب أمر بفتح بقية الحقائب وتفتيشها. آه لو لم أبالغ في الأمر ولم أتخم هذه الحقيبة الأخيرة. لقد فات الأوان. ولم يقف الأمر فقط عند فقد لكل الكتب والمجلات بل تم منع مجموعتنا من دخول ذلك البلد. لقد دمرت كل شيء في غمرة حماسي بأن أكون البطل الذي تمكن بقوة إيمانه من تحقيق إنجاز كبير وبينما كنت أنظر إلى هؤلاء الذين حذروني شعرت انه ينطبق عليَّ تحذير الكتاب المقدس القائل: «لا تكن باراً كثيراً... لماذا تخرب نفسك» (جامعة ٧:١٦).

«يارب ساعدني أن أعرف حدودي.
نعم، أريد أن أغامر، لكن ساعدني ألا أتخطى حدودي.
دعني ألتزم بالأمر الذي تعطيه لي،
واكبح جماحي من الاندفاع كالثور الهائج في محل للخزف والصيني».



انقلاب

امتدت هذه الشبكة من الكهوف تحت الأرض لمسافة ٢٠ ميلاً. وتحتفظ هذه الكهوف المنحوتة في الحجر الجيري الصلب بدرجة حرارة ثابتة، مما جعل منها مكانا مثالياً لتخزين اكثر المنتجات قيمة في فرنسا. ففي هذه الكهوف الكبيرة قليلة الإضاءة تقع المخازن الشاسعة الخاصة بأكبر دولة منتجة للشمبانيا في العالم.

وبينما كان المرشد يقودنا عبر هذه المتاهة من الكهوف المسقوفة، كنا نرى آلاف من الأرفف والحوامل الخشبية تملأ الجدران. وقد تم عمل ثقوب بهذه الأرفف المربعة الكبيرة للسماح للزجاجات بالاستقرار في الزاوية المحددة المطلوبة.

إن زجاجة الشمبانيا مصنوعة من زجاج سميك جداً مصنع خصيصاً ليتحمل ضغط التخمر. وذلك بعكس النبيذ العادي، لأن عملية تخمر الشمبانيا تتم الزجاجة نفسها وليس في البراميل. فعند الضغط على العناقيد يندفع العصير مباشرة داخل الزجاجة التي تسد بالفلين وتوضع بعناية على الرف.

وتبدأ الحياة في التألق داخل الزجاجة، ولكن يصاحب ذلك تجمع راسب قاتم في قاع الزجاجة يجب إزالته بكيفية ما.

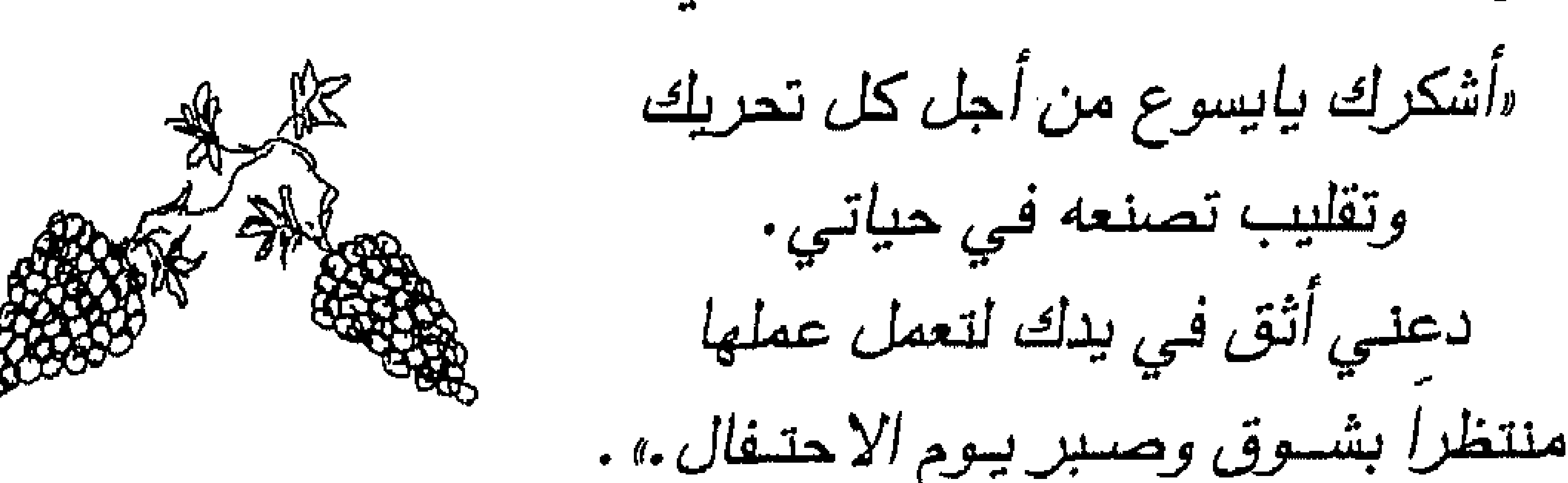
ولإزالة هذا الراسب الغائم يقوم الصانعون بتحريك الأرفف لأعلى ولأسفل. وبحركة التفافية بسيطة تدار الزجاجة ثم تعاد إلى البرميل اكثر

انحداراً من قبل. وتبدأ الشوائب في التحرك شيئاً فشيئاً صوب السدادة. إلا عملية القلب هذه قد تمتد إلى شهور أو حتى سنين. وفي النهاية، عند إتمام العملية يكون كل الراسب قد تجمع على السدادة في زجاجات مقلوبة على الرف.

وبعد أن شاهدنا عملية قلب الزجاجات، انتقلنا لمشاهدة تشغيلة تكتمل في قسم التبريد. فللحصول على شامبانيا نقية رائقة يتم تجميد عنق الزجاجة الذي يحمل السدادة، فتتثبت الشوائب بشدة في السدادة. ثم تخلع السدادات بحرص حاملة معها الراسب وتملأ الزجاجات حتى حافتها من تشغيلة كاملة سابقة. ثم توضع سدادات جديدة بإحكام ويكون المشروب جاهزاً للاستخدام.

هناك بعض التشابة بين هذه العملية وما يدور في حياتنا. فنحن نشبه كنزاً في أوان خزفية كما يقول الكتاب. لكن هناك شوائب كثيرة مختلطة بالكنز تشوه المنتج النهائي.

ويجب انتزاع هذه الشوائب من شخصياتنا – ويتفهم الله جيداً حاجتنا إلى التعامل معنا بحرص وببطء. فيرفعنا من حين لآخر من مناطق الراحة للمستقرين فيها ليقلبنا قليلاً ثم يزيد ميل حياتنا. وبذلك تتحرك نقائصنا شيئاً فشيئاً نحو نقطة الخروج حتى يتم التخلص منها في النهاية بعيداً ويحل محلها مقياس جديد من نعمة الله. حينئذ فقط تصبح ثمرة الكرمة مدعاة للاحتفال في السماء!



«أشكرك يايسوع من أجل كل تحريك
وتقليب تصنعه في حياتي.
دعني أثق في يدك لتعمل عملها
منتظراً بشوق وصبر يوم الاحتفال».

تغير

يالحلاوة مذاق ذلك السائل الذهبي. انه عصير لايصدق، ذلك الناتج من محصول التفاح الوافر هذا العام. كنت قد أفرغت لتوي جوالاً من الفاكهة الطازجة التي تم قطفها في المعصرة ثم ما لبثت العجينة الخارجة أن تم عصرها ليخرج الشراب الذهبي ذو النكهة الرائعة إلى الوجود.

واعتدنا أنا وزوجتي تناول عصير التفاح الطازج كل يوم مع كل وجبة حتى شربنا منه بالجالونات!

ولكن بمرور الوقت شعرنا بتغير تدريجي في الطعم. وظهرت فقاعات صغيرة أخذت تصعد إلى سطح الإناء الزجاجي الكبير المختزن فيه العصير تم تغير لون شراب التفاح وبدأ لون يفقد بعض حلاوته. آه! إنه التخمر! لقد بدأت البكتريا تعمل بشدة لتحيل عصير التفاح الحلو إلى شراب ذي لسعة محببة. ولكن لم نعد نشرب منه بالزجاجة بل كنا نأخذ قدر كوب من آن لآخر. فالكثير منه قد بسبب بعض الدوخة. لازال رائع المذاق ولكن خواص السائل قد تغيرت جداً. إنه نفس السائل ولكن بتركيبة مختلفة واستخدام مختلف أيضاً.

ثم قالت زوجتي: «والآن سأضع شيئاً ما في الزجاجة ليصنع تغييراً حقيقياً». ونظرت فوجدتها تمسك في يدها بسائل مطاطي ألقت منه ملء حفنة اليد في الزجاجة. ثم عادت ووضعتها في القبو. ومرت

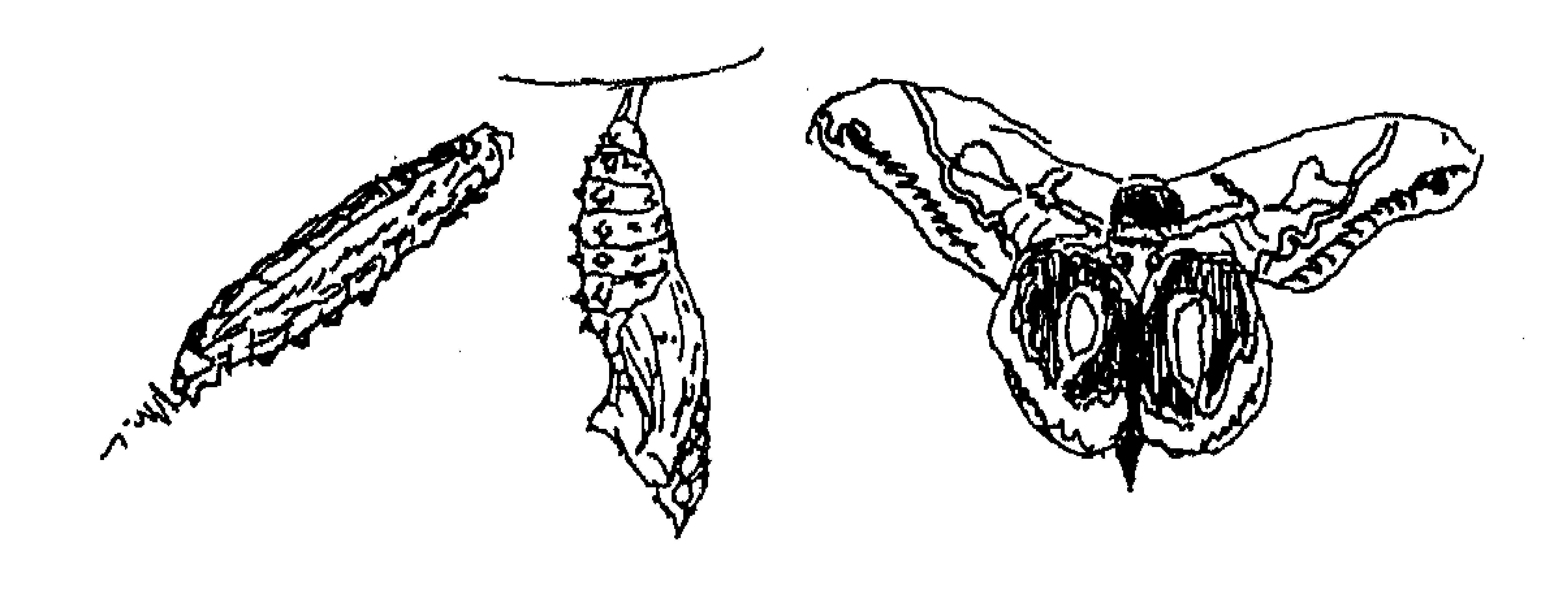
أيام وأسابيع دون أن نلمسه. ثم فتحنا الغطاء أخيراً لنجد الشراب قد تحول إلى خل من التفاح الرائق.

واصلنا تناول هذا السائل ولكن ليس بالزجاجة ولا بالكوب بل بوضع بضع قطرات منه على السلاطة أو الأطباق الأخري. إن نكهته الرقيقة تضفي لمسة خاصة على الطعام وتساعد أيضاً على الهضم. لازال هو نفس السائل ولكن بتركيبة جديدة أخرى واستخدام جديد مختلف.

فكرت في حياتي ووجدت أني على مدى السنين مازلت أنا «رودي لاك»؛ لكني تغيرت حتما أو بالأحرى غيرني الله! فمثلما تغير عصير التفاح في لونه وطعمه ووظيفته، هكذا اجتزت أنا تغييرات كثيرة على مدى السنين. هل استحالت وفرة النضارة والحماس في السنين الأولى إلى نوع جديد من الطاقة الناضجة المركزة؟

إني على اقتناع أننا إذا سمحنا لله بالعمل بحرية في حياتنا، فسيخرج احلى ما فينا من رحيق من إمكانيات حتى نكون مستعدين دائماً لاستخدام السيد لنا.

«أشكرك أيها الآب من أجل التغيير المستمر الذي تحدثه في حياتي».



تحصل على ما تراه!

كنت في سيارتي مع أصدقائي الثلاثة مستمتعين بالطريق السريع بينما كانت السيارة تنهب الأرض نهباً. ثم سمعنا فجأة صوت حلبة شديدة في الموتور فغيرنا اتجاهنا فوراً إلى طريق جانبي وتوقفنا متخوفين من عواقب وخيمة. وبالفعل حدث تلف كامل بالمحرك.

أقل وصف لشعوري حينئذ هو الاندهاش وخيبة الأمل. فمنذ بضعة أسابيع فقط وفي نفس هذا المكان، حدث نفس الشيء. وتم جر السيارة في ذلك الوقت وسحبها إلى ورشة صيانة حيث تم تركيب هذا المحرك الجديد تماماً بثمن باهظ. وها لم تمر ٣٠٠٠ كيلو متر حتى تلف المحرك الجديد وتعين تبديله بآخر. استشطت غضباً: «محرك جديد تماماً وتلف؟ وفي ألمانيا... بعيداً عن بلدي بمئات الأميال! والآن نقف وحدنا متروكين في انتظار سيارة للإيجار لاستكمال الرحلة إلى هولندا؟! هل تصدقون ذلك؟»

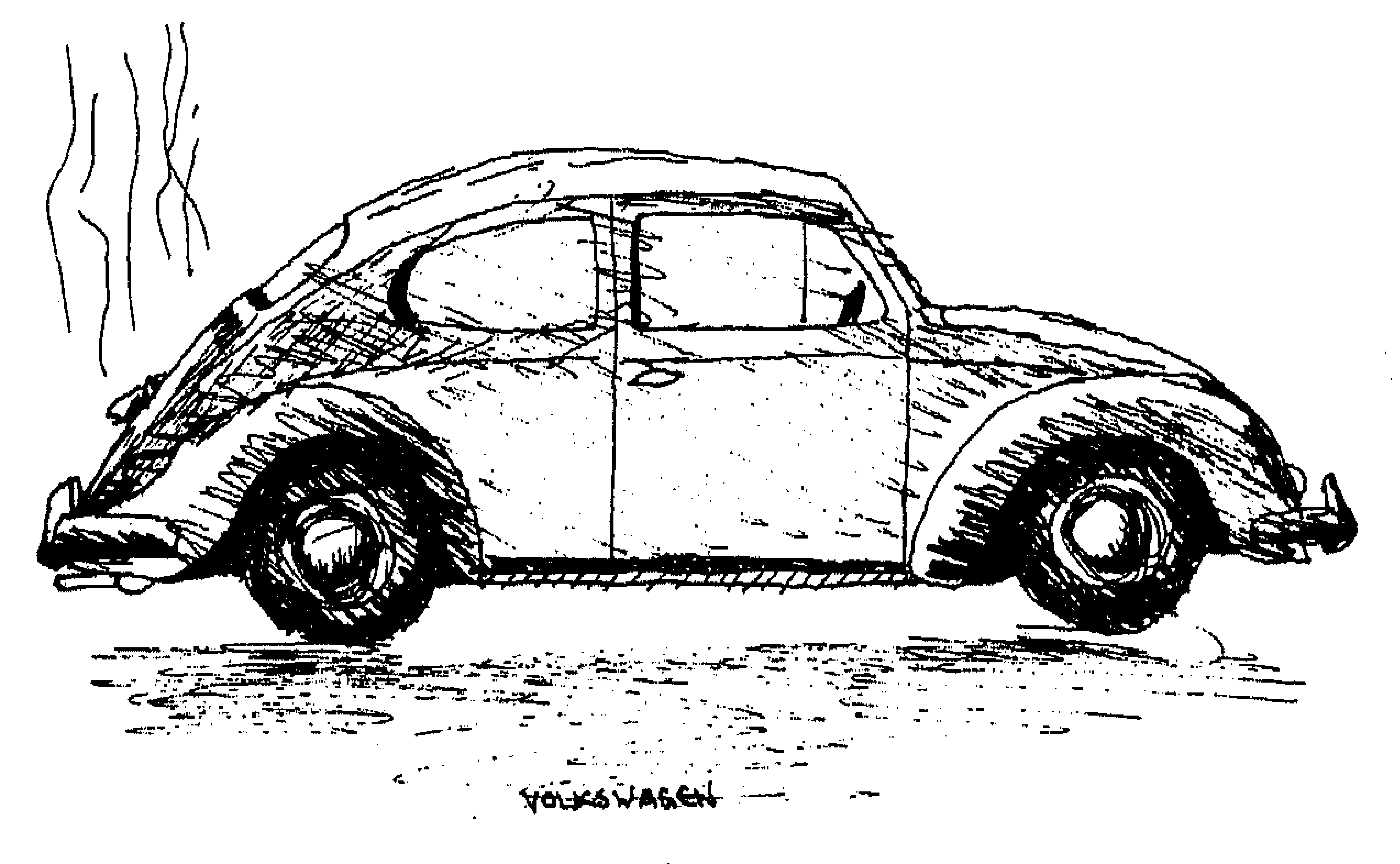
أجابني رفقاء رحلتي: «بل فكر في الجوانب الإيجابية!» وأخذوا يعددون لي تلك الجوانب. لقد تلف المحرك في دولة تستطيع أن تتكلم لغتها. هناك وعلى مسافة ليست بعيدة تليفون يمكنك أن تتحدث منه إلى خدمة الطوارىء؛ وإلى مكتب تأجير السيارات لاستكمال السفر إلى هولندا. والأكثر من ذلك أن سيارتك ألمانية الصنع وقطع غيارها متوافرة هنا في كل ركن. فأنت الآن موجود في المكان الأمثل

والمضبوط حيث يمكنك الذهاب إلى نفس الورشة التي قامت بتركيب هذا المحرك، بالإضافة إلى وجودنا معك. فإذا كنت حريصاً يا أخانا العزيز على صحبتنا فلتنضم إلينا الآن للتناول معنا الغذاء بمزيد من الشكر والعرفان!»

كم كانوا على حق! يتعين على المرء دائماً أن يزن الشئ السلبي بين شيئين إيجابيين. لقد كنت مضطرباً بسبب الأمور المزعجة التي سببها تلف المحرك. ولكن ما العمل إذا حدث ذلك مثلاً في صحاري روسيا حيث لا ورش أو استبدال محركات على امتداد مئات الأميال في أي اتجاه؟

فتذكرت من جديد أننا نعثر على مانبحث عنه في الحياة. فلو كان اتجاهنا وموقفنا سلبياً سنرى شخصية يهوذا كأكثرية بين أتباع يسوع. أما إذا تحلينا بنظرة إيجابية، فسيتركز انتباهنا دائماً على المسيح المخلص

«يارب، ساعدني أن انظر إلى الجانب البراق في أي شيء يحدث اليوم! غيّر اتجاهاتي السلبية وساعدني أن أشعر بالعرفان لكل ما أنا فيه الآن».



الفضة

هذا مشهد يستحق الفرجة. فقد جلس الصائغ إلي المنضدة وبيده موقد اللحام. وانصهرت الحلى الفضية القديمة في بحيرة من السائل الفضي بفعل الحرارة الشديدة.

وبينما هو يواصل توجيه الشعلة الدقيقة إلى الفضة المنصهرة، استقرت هذه ساكنة رائقة لا يشوبها شائبة وإذا به يرج الوعاء فتطفو على السطح ذارت سوداء دقيقة من الشوائب. لقد بدا السائل نقياً لي، لكن الحرفي الفنان كان يعرف أفضل مني. فقد استمر في استخدام مزيد من الحرارة وريح الطبق وتوالي ظهور الشوائب التي استطاع أن يحرقها بموقد اللحام. وواصل الصائغ استخدام الحرارة ورج الوعاء حارقاً بذلك المزيد من الشوائب. لقد أسرني منظر تكراره لهذه العملية حتى تخلص أخيراً من آخر الشوائب بالحرق أخذت بركة الفضة المنصهرة تبرق عاكسة وجه الرجل على سطحها الذي يشبه المرآة.

شعر الصائغ الآن بالرضا فأطفأ موقد اللحام وبرد المعدن ثم أخذ قالب الفضة من الوعاء وسلمه لي لأفحصه. لقد تمت تنقية قطعة الفضة الصغيرة التي أحملها بالكامل.

لم أستطع إلا أن أفكر في يسوع مستخدما نفس التصوير. فالرب، منقي فضة الحياة، يجلس لينقي الذين يحبهم. لقد هزني الرب منذ وقت قريب ليخرج بعض الجوانب غير المقدسة في حياتي. وظهر على

السطح المرارة والاستياء اللذان كنت أشعر بهما وأحملهما تجاه شخص ما، واستخدم الرب ناره مثل الصائغ وهزني بشدة لينقي قلبي. ولا شك أنها عملية متعبة في وقتها إلا أنها صحية وضرورية.

أنا واثق أن تلاميذ المسيح في أيامهم الأولى قد اختبروا نار التنقية. فهناك إشارة لذلك في (بطرس الأولى ١:٦-٨) حيث يقول: «تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة لكي تكون تزكية إيمانكم وهي أثمن من الذهب الفاني مع أنه يمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» ولابد أن سليمان أيضاً قد تقابل مع هذه النار، إذ يقول في (أمثال ٢٥:٤) «أزِل الزغل من الفضة فيخرج إناء للصائغ».

وبينما كان الصائغ يمد يده إلى عينة أخرى من الفضة أخذت أصلي:

«يارب، استمر في تحريكي حتى تظهر الشوائب على السطح وتتبخر بفعل الحرارة التي تستخدمها. أريد أن أكون نقياً حتى تظهر صورتك، صورة الفنان الإلهي، منعكسة على قلبي وفي حياتي».



أعرج

بدأ الأمر كله بألم حاد جداً حتى إنه انتابتني نوبة من الصراخ. لم أشعر بمثل هذا الألم من قبل! فلا أكاد أتحرك قليلاً دون أن أشعر بهذا الشعور الممزق وكأن أحدهم قد طعنني بسكين في ظهري.

لقد كان ألماً خطيراً بحق! لم يعرف الطبيب الذي كشف عليّ سببه لكنه نصح بجلسات تدليك لظهري. وقد أحدث ذلك راحة مؤقتة من الألم سرعان ما كانت تزول وتعود المعاناة من جديد.

وصل الأمر بي أن صرت أعرج وأجر قدمي اليسرى ورائي. وصرت أؤدي أعمالي وارتباطاتي بنصف تركيز. وما لبثت أن اكتشفت أن الوسيلة الوحيدة للراحة من هذا الألم هي الإستلقاء التام وعدم الحركة بتاتاً. وبمرور الأيام كنت أمضي وقتاً أكثر وأكثر في أكبر مستشفيات نيوزيلنده لم تكتشف عن شئ.

وكان الشيء الوحيد الواضح هو ازدياد الألم. ولم يمض وقت طويل حتى كنت مقعداً لا أتحرك إلا في كرسي متحرك.

سافرت بي زوجتي البارة وممرضتي الحنون «إليان» عبر نصف الكرة الأرضية عائدة بي إلى بلدنا سويسرا. وبعد كم هائل من الفحوصات والتحاليل توصل الأطباء أخيراً إلى السبب. كنت أعاني من غضروف خطير يضغط على خمس نقاط عصبية مختلفة مسبباً نوبات رهيبة من الألم كانت تتركني أحياناً فاقد الوعي. وها قد مرت أسابيع

وشهور منذ بدأ الألم، لكن السبب عرف أخيراً وبات الحل الجراحي مُلِحاً دون أى تأخير.

تبخرت آمالي في الشفاء السريع عندما تبينت أني أكاد أمشي بصعوبة بالغة. فأن طول فترة الرقاد وعدم الحركة قد أحدث ضموراً في عضلاتي يستلزم علاجه فترات طويلة من العلاج الطبيعي. في البداية كانت تمرينات الإطالة التي لاتنتهي، ثم السير خطوات قليلة على استيحاء.. ثم المشي لفترة قصيرة في ردهة المستشفي... أعقبها بعد فترة دقائق من السير حول مسكني. ومن خلال المداومة على استخدام ساقي بدأت عضلاتي بالتدريج في استعادة قوتها.

كانت التدريبات هي العامل الحاسم والحيوي في الشفاء. فقد ضمرت عضلات ساقي اليسرى من عدم الاستخدام. وكلما استخدمت هذه العضلات، استعدت قدرتي على الحركة أكثر؛ ألا أن ذلك استلزم جهداً مضنياً. وإذا حدث أي تكاسل من جانبي، تهدد كل ما حققته من تقدم بالضياع سريعاً.

يمكننا أن نعقد مشابهة بين هذا الوضع وبين مسيرتنا مع الله. فطالما كنا نشطاء في شكرنا وشهادتنا وصلاتنا من أجل الآخرين، فلن تضمر عضلاتنا الروحية من قلة الاستخدام. لكن كلما طال إهمالنا لهذه السلوكيات كان من الصعب علينا استعادة حركة أجسامنا الروحية.



«يارب، ساعدني أن استخدم إمكاناتي الروحية ولا أهملها.

بل اجعلني أن أمارسها يومياً حتى أنمو أقوى في مسيرتي معك».

الخطوط

بدت أكبر بحيرة ماء عذب في أوربا. بينما كنت أنظر إليها من جانب الجبل. كأنها حوض ضخم من الذهب السائل. كانت الشمس قد أشرقت لتوها فوق چنيڤ وإنتشرت على صفحة السماء الألوان الزاهية بدءاً من الأحمر الناري حتى الأرجواني الداكن. لو امتلك رسام هذه الألوان لصنع رسماً من أبداع وأروع ما خرج إلى الوجود من فن.

ومع أنه لم يكن هناك أي فنان، إلا أنه بدا في السماء المخملية الناعمة وكأن رساماً قد طوّع بين أنامله فرشاة عملاقة راح يبدع بها رسماً تجريدياً على الصفحة السماوية الصافية. نظرت فوقي على ارتفاع شاهق فرأيت خطوطاً بيضاء تتحرك في كل اتجاه. وكانت السماء تبدو أحياناً كشبكة ضخمة من الخطوط المتداخلة. بدأت الخطوط كخيوط رفيعة بيضاء ثم اتسعت أكثر فأكثر متحولة إلى اللون الذهبي ثم أخيراً إلى الأحمر الداكن.

امتد هذا النموذج المكثف غير المنتظم عبر السماء من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب. كانت هذه الخطوط في السماء عبارة عن آثار الطيران التي خلفتها حركة مئات الطائرات في واحد من أكثر ميادين الطيران كثافة في كل أوربا.

فإن أكثر من ١٢٠٠ طائرة تعبر السماء يومياً فوق بحيرة چنيڤ.

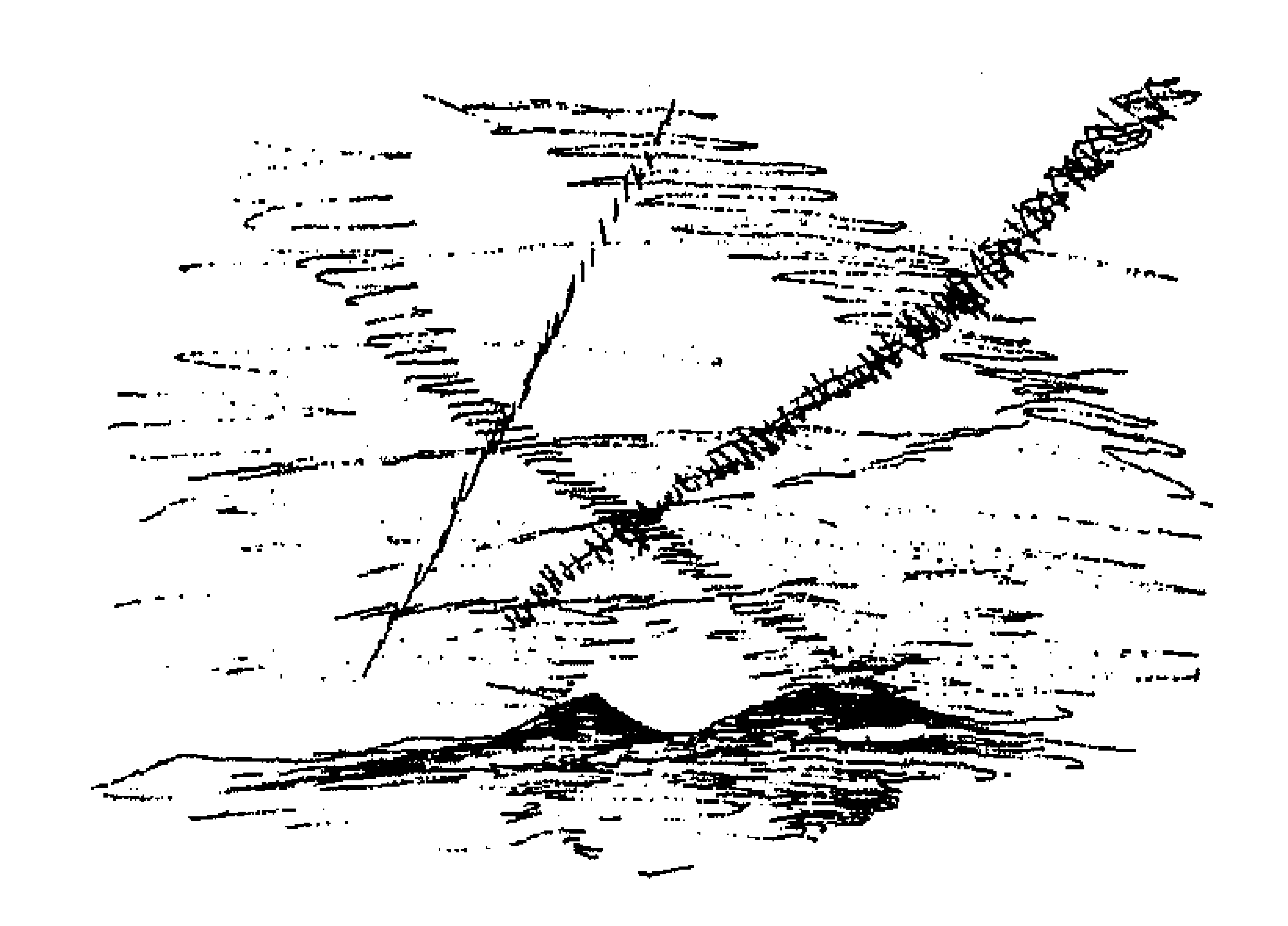
وإذا كنت محدداً فيما تبحث عنه، فسوف تلتقط عينك بسهولة مركز الإرسال والأتصال القابع هناك مباشرة في وسط المياه.

وفي وسط بخار الماء المتكثف الذي تركته هذه الطائرات وراءها، فكرت في آلاف المحادثات والتعليمات التي جرت بين الطيارين والمراقبين الجويين.

ولاحظت أيضاً أثناء تحديقي كيف غير عدد من تلك الطائرات التي تبدو كالنقاط السوداء الدقيقة اتجاهه فوق البحيرة متخذا مساراً جيداً تم توجيهه إليه.

لقد كان المراقب الجوي المحنك هو الذي يصدر الأوامر إلى الطيارين مستخدماً جهاز الرادار المعقد في تتبع كل طائرة في الهواء. وعندما يتعلق الأمر باختيار مسارات الطيران فما على الطيارين إلا إطاعة أوامر برج المراقبة. وهم لن يتفادوا المصادمات في ذلك الفضاء المزدحم إلا من خلال طاعة الأوامر.

هناك تشابه شديد بين دور المراقب الجوي ودور الله في حياتنا. فإلهنا القدير لديه كل المعلومات الضرورية وهو جالس في برج المراقبة السماوي وهو يعطينا أوامرة لا ليحد من حرية حركتنا بل ليضمن لنا مروراً آمناً. فهو يعرف في سلطانه وعلمه اللا محدود نموذج الطيران الشخصي لكل فرد على الأرض، ولن يتسنى لنا تعلم الطيران دون مخاطر إلا بالاستعانة بحكمته هو. عندما نستمع إليه سنصل بسلام إلى مقصدنا ونتفادى التصادم مع الآخرين على نفس الطريق. فإذا اصطدمنا بالآخرين فلا نلُمْ إلا أنفسنا لأننا لم نلتفت إلى صوت السيد ولم نطعه.



«أيها المراقب والمتحكم الأسمى،
ساعدني أن أفتح قنوات الاتصال معك أثناء رحلة حياتي،
حتى أتلقى كلمتك وأطيعها طيلة الحياة».

صوت حبيبي

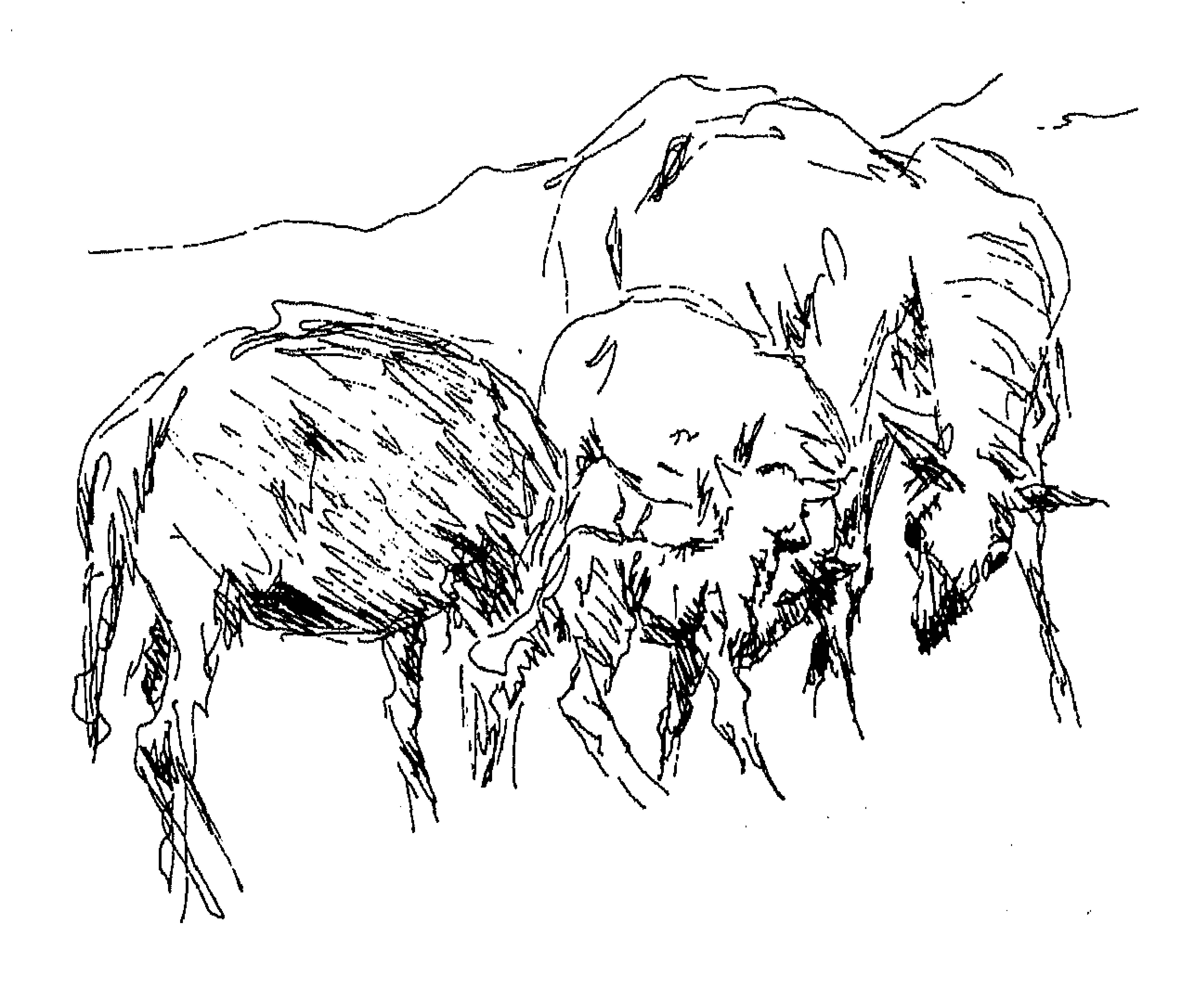
بدا الحمل الوليد بين ذراعي الفلاح الضخم وهو يحمله. كالطفل الصغير يحك أنفه في القميص الصوفي ويبحث بلسانه الوردي الصغير عن مصدر للغذاء. فقد ضل هذا الصغير طريقه عن القطيع أثناء النهار، إلا أنه عثر عليه منذ بضع ساعات. كان الظلام يرخي أستاره بينما كنت أتبع الراعي الذي يمر على سلسلة من الحظائر تحوي كل منها قطيعاً مختلفاً من الخراف. قال الفلاح بنبرات من القلق: «لست أدري أين أضع الصغير». كانت عيناه تبحثان في الحظائر على أمل رؤية أي علامة تدل على وجود النعجة الأم المطلوبة. ترى من أي حظيرة قد خرج الصغير للتجول؟ أي حظيرة من هذه الحظائر تضم أمة؟ قرب الفلاح الحمل الصغير بهدوء من أقرب حظيرة. زاحمته الخراف الكبيرة وانضغط بينها فشعر الصغير أولاً بالقلق ثم ما لبث أن أصابه فزع من الخوف وعدم الأمان فأطلق صرخة يأس بائسة تهز المشاعر.

وماهي إلا لحظة حتى جاء الرد من حظيرة بعيدة عالياً واضحاً. لقد عرفت الأم صوت وليدها من تلك المسافة البعيدة ووسط كل الأصوات المختلطة. تبسم الفلاح في ارتياح وانحنى يحمل الحمل الصغير بين يديه ومضى به إلى حظيرة الأم حيث أطلقه برقة. كانت الأم في طريقها إلينا وسرعان ما تلاقى الاثنان مرة أخري.

تركناهما هناك يلفها الأمان والأمن في الحظيرة الدافئة. وبينما كنا

عائدين إلى المنزل حيث ينتظرنا العشاء الساخن، تذكرت محبة الآب الذي ينتظر أي صرخة منا. فهو يسمع صرخات قلقنا أعلى من كل أصوات العالم الضخمة ويميزها بين أصوات الصلوات المختلفة. إنه يعرف دائماً صوت أحبائه.

«أشكرك يارب لأنك تستجيب لصرخاتي.
كم أتوق إلى حضورك اليوم!»



المجزر

كانت هذه العملية بالتحديد أضخم عمل شاهدته في حياتي. ولم تكن الرائحة المنبعثة من المكان مشجعة بالمرة، لكن فضولي دفعني لرؤية ما يحدث داخل غرف التجميد الضخمة. كان هذا المجزر في نيوزيلاندا مخصصاً لتصدير لحوم الكباش بمعدل ١١,٠٠٠ كبش تذبح وتجمد لحومها يومياً!

ويبدأ العمل بوصول عربات النقل واحدة وراء الأخرى تحمل عدداً كبيراً من المواشي يتم تجميعها في حظائر خاصة، فتبدو مئات الخراف كأنها بحر شاسع من الحيوانات التي تنتظر الذبح. وتساءلت في دهشة «كيف يتسنى لهم قيادة كل هذه الحيوانات إلى طريق الموت؟ أما ذلك المصير فكان عبارة عن سير متحرك عريض يتم صعق الخروف عليه بواسطة تيار كهربائي فيسقط على منضدة معدنية حيث يتم ذبحه تمهيداً للإنتقال بالذبائح إلى الخطوة التالية. وكان العمل يتم بكفاءة شديدة!

وبينما كنت أنظر إلى المئات المتتابعة من تلك الحيونات الصوفية، كنت مأخوذاً أيضاً بشرح المرشد المرافق لي حين قال: «هل تعلم ياسيدي أن لدينا خروفاً خاصاً هنا يسمى خروف يهوذا؟ فهذا الحيوان مسئول عن خداع ١١,٠٠٠ من الخرفان يومياً. أرجو أن تشاهد جيداً ما يحدث الآن....» ها هو الخروف عجوز دميم يقود حفنة من الحيوانات

خارج الحظيرة إلى ممر واسع حيث يتدافعون متخبطين وراء قائدهم. إن غريزة القطيع تدفعهم دفعاً وراء ذلك المخادع الذي يمضي بهم مباشرة إلى طريق الموت. ها هم الآن منحشرون بشدة معاً حتى صار خروف يهوذا يزاحم هذا البحر المتلاطم من الأجساد ويتسلقهم ليمضي إلى حظيرة أخرى ليقود دفعة جديدة من الخراف إلى مصيرها الدموي.

وتذكرت أن: «هذا بالضبط ما يعمله الشيطان. إنه يخدعنا ويقودنا إلى طرق الهلاك. ولذلك فعلينا نحن المؤمنين مسئولية تبصيرهم مبتعدين بهم عن الخطر وعائدين بهم إلى حظيرة خراف الراعي الصالح. فهو يبغي لنا بالتأكيد مصيراً مختلفاً تماماً عن ذلك المجزر الرهيب!»

لم يكن يصل إلى سمعي من كل تلك الخراف إلا صوت حوافرها الخفيض دون أن يفتح أحدها فمه اعتراضاً في انتظار الموت. ذكرني ذلك بالرب يسوع الذي سيق كحمل إلى الذبح وصمت في طريقة إلى الصليب. ما أبعد الفارق بينه وبيننا نحن الذين نصرخ نحدث جلبة عندما نتعرض للألم! ومع ذلك فقد حمل يسوع كل الألم والمعاناة بنفسه. فقد خانه يهوذا وسلمه لأيدي الناس ليصلب من أجل خطايانا حتى يجلبنا ذلك الألم ويعطينا هبة الحياة الأبدية.



«يارب، ساعدني ألا أقود الناس إلى طرق الهلاك.
أشكرك من أجل ذبيحة تضحيتك من أجل خلاصي.
ساعدني أن أشابهك أكثر؛ دون صراع
أو صراخ في وجه الألم
بل أجابهه بهدوء وثقة.».

المعوقات

تلفتت الرؤوس إلى الممشى حيث تم رفع مقعد من المقاعد ليحمل محله الكرسي المتحرك الذي يحملها. كنت أساعد هذه المرأة الضعيفة لتستقر في مكانها في ذلك المساء لتحضر خدمة العبادة فشعرت بكم هي خفيفة وضئيلة الحجم. وربما ظن بعض الحاضرين عند مشاهدتهم لها أنها لا تملك ما يرغبها في الحياة. إلا أن عينيها كانتا تحملان بريقاً دافئاً، فرجاؤها ليس في هذه الحياة على الأرض بل في الحياة الآتية.

أصيب والدا «روزماري» بصدمة كبيرة لدى علمهما بأن هناك طفلاً في الطريق. فحاولت الأم إنهاء الحمل بكل وسيلة، ولحسن الحظ لم تنجح. إلا أن المحاولة تركت آثاراً على الحمل طويلة الأجل. فجاءت «روزماري» بساق واحدة وبدون ذراعين.

تخطت «روزماري» الآن سن الثلاثين وكانت تتغذى طوال هذه السنين بالملعقة وكم كانت حياتها بائسة في البداية! لكن حياتها تغيرت تماماً بعد أن سلمت حياتها بائسة في البداية! لكن حياتها تغيرت تماماً بعد أن سلمت حياتها للرب يسوع وتمضي الآن معظم وقتها في مشاركة الإنجيل مع الآخرين. وقد قالت لي بينما كنت أدفعها بالكرسي المتحرك في الكنيسة إنها كانت تشهد للناس عن المسيح في صبيحة ذلك اليوم.

ففي ذلك الصباح أوصلها زوجها (نعم، كانت متزوجة) إلى رصيف المشاة في شارع وسط مدينة زيورخ التي تعد من أكبر مدن

سويسرا. وقد قضت النهار في كرسيها المتحرك تحيي المارة وتوزع النبذ بكل فرح. وقد هتفت بي في تهلل: «لقد كنت أشهد للرب يسوع!»

فسألتها: «كيف يتسنى لكِ عمل ذلك بدون ذراعين؟»

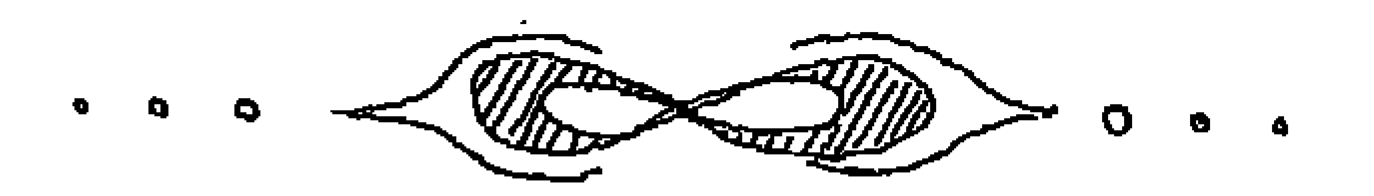
فأجابت ببساطة: «الأمر سهل، أحمل الأوراق بين أصابع قدمى وأشجع الناس على خدمة أنفسهم!»

وكنت مسئولاً عن برنامج تدريبي على الشهادة بالمراسلة. فكان يصلني من «روزماري» مظروف كل بضعة أسابيع إذ كانت طالبة في هذا التدريب. وكم كان واجبها مطبوعاً بعناية وأناقة على الآلة الكاتبة بأصبع قدمها الوحيدة فكانت قراءته أوضح ما تكون. وكم هزتني شجاعتها وتصميمها التام. ألا بعد ذلك تحدياً لنا نحن الأصحاء؟

لدينا يدان يمكن استخدامها لتوزيع بشارة الإنجيل. نستطيع أن نسير حاملين الأخبار السارة للآخرين. لكن هل نستخدم تلك القدرات للخروج بالرسالة؟

لقد استغلت «روزماري» ما عندها أروع استغلال برغم المعوقات التي تعاني منها. ربما كان لدينا أيضاً بعض المعوقات، لكن الكثيرين استخدموها كمبررات للخروج من السباق. فهل علينا أن نتذكر على الدوام أننا عندما نكون ضعفاء فهو قوي؟ إن نقاط عجزك وقصورك مفاتيح للسماح لله بالعمل من خلالك. فكرس نفسك اليوم من جديد لخدمته.

«أشكرك أيها الآب من أجل نقاط القوة ونقاط الضعف فيَّ!
ساعدني أن أخدمك بكل ما فى معتمداً على قوتك في التغلب على معوقاتي».



الجواب اللين

كنت أبحث يائساً عن مكان انتظار لسيارتي في تلك المدينة المزدحمة . وأخيراً وقعت عيني على ما بدا أنه مكان خالٍ في آخر صف طويل من السيارات. انحشرت في المكان الضيق ثم تلفت باحثاً عن علامات تدل على أن هذا المكان مسموح فيه بالانتظار. لم أجد أي لافتة «ممنوع الانتظار»، لكن السيارة كانت بمحاذاة حافة خروج سيارة شخص ما.

ووقفت أقيم الموقف. نعم، هناك مكان فسيح إلى حد ما يتيح لمالك السيارة بالخروج من الجراج إلى الشارع، لا مشاكل. لكن عندما عدت بعد ساعة، وجدت ورقة على زجاج السيارة تحت المسَّاحة، فتوقعت أمراً سيئاً. أمسكت بالورقة وطبعاً وجدت مخالفة وقوف في الممنوع.

لكنني لم أحجز أي سيارة ولم أسد الطريق! وألقيت نظرة خاطفة على الطريق فوجدت أن سيارتي هي الوحيدة التي أخذت مخالفة، ولم تكن هناك بالتحديد أي لافتة تدل على منع الوقوف في هذه المنطقة. تركت السيارة حيث هي واتجهت ورأسي تدخن غضباً من الإحساس بالظلم إلى نقطة الشرطة القريبة من المكان. واجهت أحد المسئولين قائلاً : «هذا غير مقبول، تعال وانظر بنفسك لترى أن سيارتي بعيدة عن مجرى الطريق ولا تحجز أي شيء».

فجاءني الرد: «آسف ياسيدي، الضابط الذي حرر المخالفة في اجتماع الآن ولا يمكن إزعاجه. لا أستطيع مساعدتك الآن».

عدت إلى سيارتي مقتنعاً أن الغضب وفورته لن يؤديا لشيء. لكني أردت قبل العودة للبيت أن أرضي فضولي. فقررت أن أسأل مالك المنزل إذا كنت حقيقة قد اعترضت سبيل خروجه بالسيارة.

ضغطت على جرس الباب وانتظرت. وجاءت سيدة البيت فأخبرتها أني قائد السيارة التي تنتظر بجانب طريق سيارتهم الخاص. فهل قد أعقتها بأي صورة؟ لقد أخذت مخالفة لتوي من الشرطة بسبب الوقوف الخاطيء وأردت الاعتذار عما أكون قد سببته من ضيق.

نظرت إليَّ متحيرة وقالت: «لا، بالمرة. فربما وضع زوجي هذه المخالفة، فهو ضابط شرطة ولابد أن معه الحق في ذلك. على العموم سأتحدث معه في الأمر وأرجو أن تترك الكارت الخاص بك وسأجعله يتصل بك فور عودته».

وعدت إلى منزلي متسائلاً ما عسى أن تكون إجابته. واتصل بي الضابط في ذلك المساء وقال: «لقد كنت من الكياسة واللباقة والأدب مع زوجتي حتى إنني قررت إلغاء المخالفة. لا داعي أن تدفعها...».

ما أبعد الأثر الذي يمكن أن يتركه تحركنا بالروح المضاد! فلو تعاملنا مع الظلم بموقف يتسم بالرقة والوداعة فبإمكاننا تفريغ الموقف



تماماً من الغضب. وحقاً كان الكتاب المقدس صادقاً في قوله: «الجواب اللّين يصرف الغضب».

«يارب، ساعدني أن يكون رد فعلي بالروح الصحيح
عندما أعامل بالظلم.
ساعدني أن أرد بالإجابة التي تطيح بالغضب بعيداً».

البراعم

ها قد اختفت آخر قطع الثلج؛ واستيقظت الطبيعة على حياة جديدة. استعادت الجداول قدرتها على الحركة وعاد المياه إلى مجاريها، وتفجر اللون الأخضر من جديد كاسياً وجه المروج.

شاهدت الناس يتجولون على مهل في الحقول. وكانوا ينحنون بين حين وآخر لالتقاط شيء ما ثم يضعون هذا الشيء في الأكياس البلاستيك التي يحملونها. إنهم لا يتوقفون عن التقدم والعودة فوق الحشيش الناعم حتى امتلأت الأكياس تقريباً. ماذا عساهم يجمعون؟ فالثلوج قد ذابت لتوها والمحاصيل لم تنضج بعد!

ثم تذكرت ما قالته لي «إليان». أنها تريد هي الأخرى الخروج في هذا المساء لتجمع براعم نبتة معينة. إن الرؤوس الطازجة لهذا النبات تدخل في مكونات ألذ سلاطة يمكن أن يتذوقها الناس سواء في البيوت أو المطاعم. وهم يقدمونها كطعام ربيعي شهي له ثمنه!

خرجنا معاً وسط الجو الربيعي العطر نسير ببطء وسط المروج فوق العشب اللين المرن. فهذا هو الوقت الوحيد لجمع براعم هذا النبات، لأنه في غضون أسابيع قليلة سينمو بالكامل وتتوهج المزارع بلون أزهاره الصفراء الساطعة.

وعندئذ لن يتذوقه أي إنسان، اللهم إلا بعض الأبقار التي ترعى في الحقول. إن قصر عمر محصول ذلك النبات جعلني أفكر. هل نحقق

أقصى استفادة من الفرص التي يعطيها لنا الله؟ أم نتردد إزاءها طويلاً حتى تشيخ البراعم الغضة وتصبح مُرّة وعديمة الفائدة؟

عليك أن تستخدم اليوم الفرص الممنوحة لك من الله أفضل استخدام. فمهما يكن الشيء الذي تجده في يدك. فاعمله بكل طاقتك؛ لأن الباب الذي تجده مفتوحاً اليوم ربما يغلق غداً.



«يارب أشكرك من أجل فرص اليوم. أعطني شجاعة اقتحام الأبواب المفتوحة لاستكشاف ما وراءها، قبل أن يصبح الوقت متأخراً».

إهمال مكلف

كان القصر الأبيض لمالك العزبة يقع وسط أشجار باسقة معمرة في حديقة بديعة. ما إن خطوت داخل هذا القصر الفخم حتى أخذت بروعة اللوحات الزيتية الأصيلة المعلقة على الجدران. تزينت حجرة المعيشة بأثاث لا مثيل لروعته مع مرآة ذات إطار ذهبي وشمعدانات بالإضافة إلى الأرضية المغطاة «بالپاركيه». ولابد أن الفنانين من الحرفيين قد تجشموا عناءً ليس بقليل ليخلقوا مثل هذه الأرضية الرائعة ذات النمط المتشابك لمختلف الأخشاب الثمينة.

وقد ألقيت نظرة على النافذة الكستنائية الناتئة، ولفت نظري أيضاً ذلك النقش الجميل الجدار الصغير في تجويف الجدار في أقصى أركان الغرفة. إلا أنه راعني ما لاحظته من بقع رمادية لعفن فطري تغطي جدران الحجرة.

وعندما اقتربت منها لأتفحصها أكثر زكمت أنفي رائحة عفونة نفاذة. وتساءلت في نفسي: «كيف حدث ذلك؟».

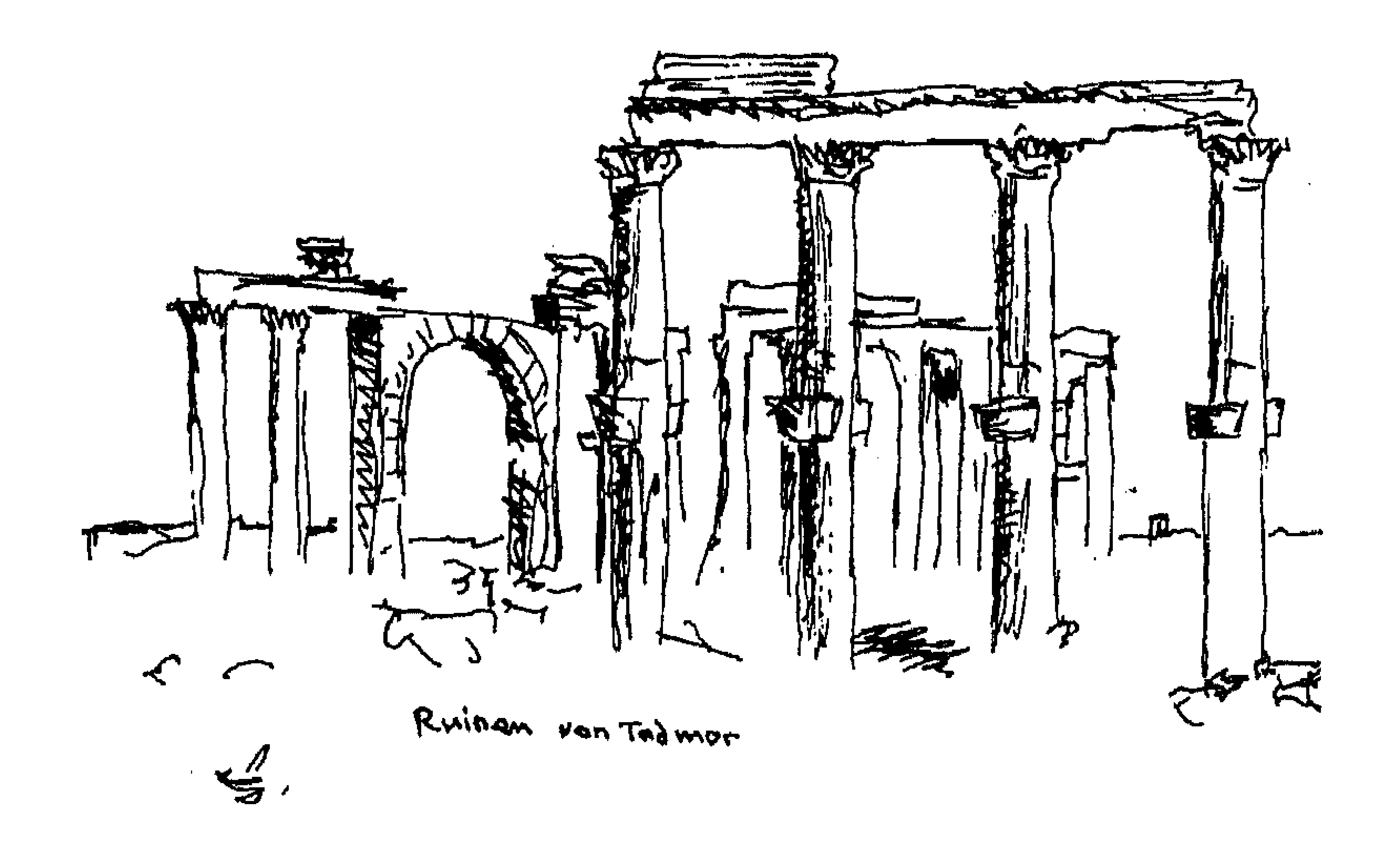
كان السمسار ينظر لأعلى إلى السقف. ثم قال: «الموضوع بكل بساطة أن المالك السابق لم يفكر أبداً في تنظيف المزاريب حول السقف. فمع كثرة أشجار العزبة، انسدت المواسير والمزاريب بالأوراق. وعند نزول المطر ينساب الماء على الواجهة ثم على الواجهة ثم على الجدران الداخلية ثم إلى حجرة المعيشة مباشرة. كان يمكن تجنب هذا الأذى

بمجهود قليل كل سنة. أما الآن فإن تكاليف التجديد ستكون باهظة حتماً».

لقد تسبب المُلاك في أذى كبير لملكهم بسبب إهمال تفاصيل صغيرة. فلم تكن بضعة اوراق في المزراب تبدو أبداً شيئاً جسيماً في ذلك الوقت. لكن الأذى قد تراكم سريعاً جداً. وعلينا الآن – كمُلاك جدد – أن نستقدم من يزيل ويستبدل كل المشغولات والنقوش الخشبية في التجويف، الأمر الذي يكلفنا الكثير.

إن هذا الأمر يشبه كثيراً حياتنا الروحية. فأحياناً نهمل جانباً صغيراً في الحياة لا يبدو مهماً في وقته. ومع ذلك نكتشف بعد فترة من حياتنا أن الخسارة كانت جسيمة.

ولذلك يقول الكتاب المقدس إننا يجب أن نبذل ما في وسعنا لنبقى أنقياء. فعندما تسد مواسير الصرف في حياتنا الروحية، دعونا نتنبه ونتخلص من الأوراق الميتة والرواسب الضارة فوراً قبل أن يستفحل



الأذى ويدوم طويلاً. عندئذ يستطيع هيكلنا الأرضي أن يستمر في القيام بدوره كمسكن لله.

كل من له هذا الرجاء يطهر نفسه...

«أبي السماوي، ساعدني أن أكون متنبهاً للمعوقات في حياتي حتى لا أتركها تتراكم فتفسد هيكلك المقدس...»

التزحلق

كانت الثلوج المتساقطة لتوها مثل مسحوق ناعم ناصع البياض. وكانت السماء داكنة الزرقة ليس بها سحابة واحدة تحجب الشمس المشرقة؛ فأغرانا ذلك بالخروج للتزحلق. ياله من يوم رائع قد صنعه الرب! حمَّلنا السيارة أنا و«إليان» بالعدة اللازمة؛ وفي خلال نصف ساعة كنا منطلقين في المصعد الذي صعد بنا إلى حقول التزحلق.

مع أننا في نفس العمر، إلا أن الأمر يختلف عندما يتعلق بالتزحلق. فـ «إليان» متزحلقة ماهرة، أما أنا فلا أدعي ذلك! فبإمكانها اتخاذ مسارات صعبة وسريعة، أما أنا فأفضل المنحدرات السهلة. وعادة ما نبدأ سوياً على نفس المنحدر، وقبل أن يمضي وقت طويل تكون قد غيرت اتجاهها لتجرب طرقاً أخرى أصعب تصيبني مجرد مشاهدتها بالرعدة.

واليوم هو أول خروج لنا في هذا الموسم. فأتخذنا عصا التزحلق وبدفعة قوية بدأنا في التحرك مطلقين صرخات الابتهاج. كنا ننطلق بسرعة فائقة على المنحدرات، وكنت لدهشتي أستطيع مجاراة زوجتي. فقد انتقلت إلى عدوى شجاعتها وسرعتها الجريئة. ولم أكن أتصور أنه بإمكاني التزحلق بسرعة على ذلك المنحدر لكن أداءها حثني على ذلك.

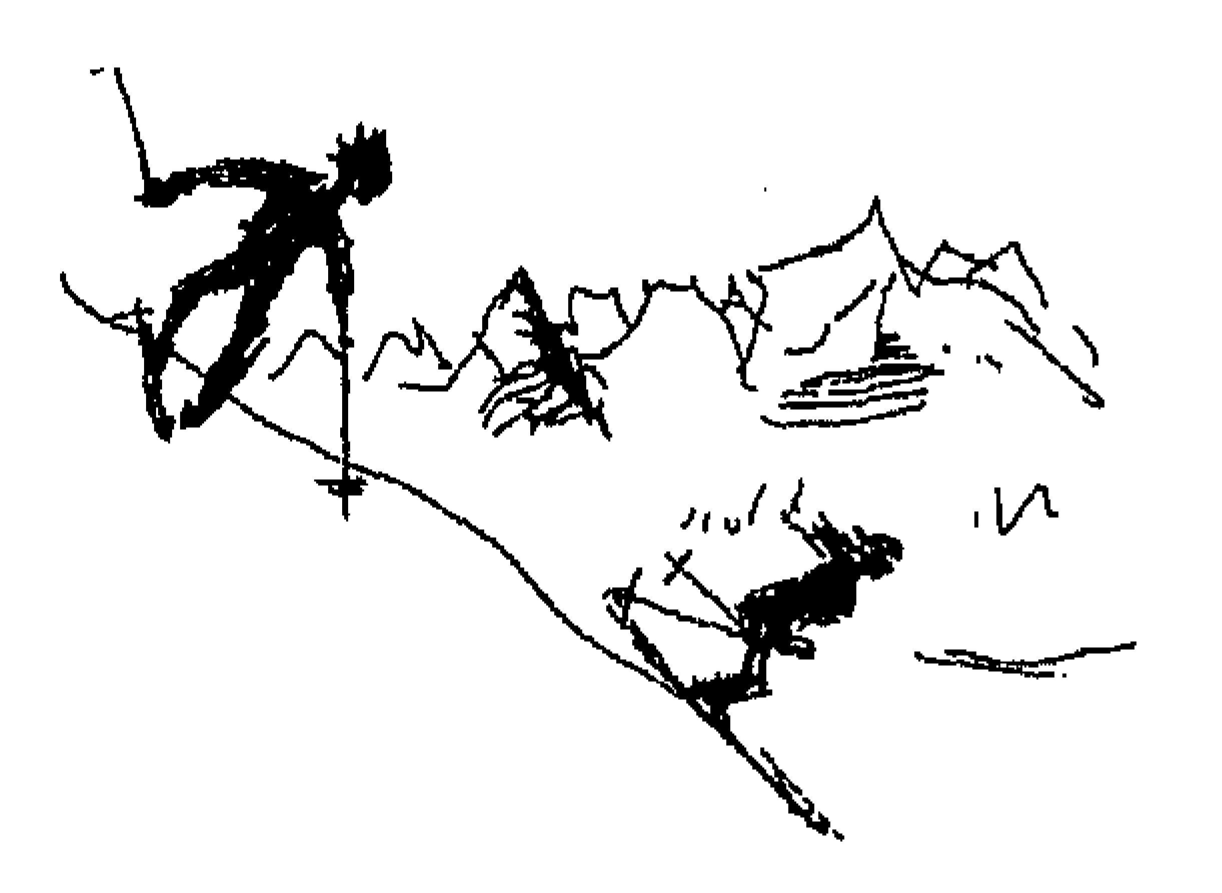
وفجأة ظهرت كتلة ضخمة من المسحوق الأبيض. ياله من منحدر

جبار! لم تلاحظ «إليان» ذلك البروز الصغير من بعيد واختفت في مكان ما في وسط الجليد. صرخت هاتفاً: «هل أنتِ بخير؟» وجاءني الرد «نعم». وقبل أن تدركني الإجابة، كانت «إليان» قد عادت مرة أخرى من ورائي وما لبث أن تجاوزتني. هتفت في داخلي: «مدهشة، إنها ليست من النوع الذي يتباكى على اللبن المسكوب، فعندما تسقط تنهض سريعاً وتواصل تسلق الجبل. فلا وقت تضيعه في رثاء الذات».

وهذا وجه الاختلاف بيننا. فأنا أيضاً قد أسقط؛ لكن الأمر يستلزم مني وقتاً أطول للوقوف على قدمي ثانية. فسألقي نظرة إلى الخلف على شكل المنحدر الذي سقطت منه؛ وسوف أتساءل عن سبب سقوطي في هذا المكان بالذات. وهل يمكنني التغلب على هذه العقبة مرة أخرى؟ ولماذا لم أكن أسرع وأفضل هذه المرة؟ إن هذه النوعية من التفكير والنظرة إلى الأمور، تصيبنا سريعاً بالاحباط والاكتئاب.

أدركت أني أحتاج فعلاً للنهوض بسرعة بعد السقوط ومواصلة صعود الجبل بكل شجاعة. كان عليَّ أن أقبل مستوى مهاراتي في التزحلق وأن أتحرك في حدود ذلك وأواصل السباق بفرح وابتهاج. فلا يهم عدد المرات التي تسقط فيها بل عدد المرات التي تقف فيها على قدميك مرة أخرى.

يقول الكتاب المقدس: «الصديق يسقط سبع مرات ويقوم ثانية».



«يارب يسوع، ساعدني
ألا أيأس إذا سقطت،
بل أنهض سريعاً وأواصل السباق»

البرج

كانت القلعة عبارة عن كتلة صخرية مفردة لا يتخيلها عقل. ويبدو أن الساعات قد جريت بنا ونحن نتجول بين قاعات المآدب التي شهدت في الماضي أفخم الحفلات، ثم ونحن نكتشف طريقنا خلال شبكة المطابخ واجنحة النوم؛ وأخيراً ونحن نلتمس طريقنا في الكهوف حالكة السواد التي تشكل هذه القلعة الرائعة.

إلا أن أكثر ما فتنن هو تلك البئر التي تم حفرها حتى وصلت إلى مستوى النهر لتضمن لبارونات ودوقات القلعة عدم حدوث أي أزمة في الماء أثناء أي حصار. كانت البئر الموجودة في ردهة صخرية عبارة عن فتحة واسعة على وجه الأرض مغطاة بشبكة من الحديد المشغول. أشعلنا ورقة كبيرة. كما طلب منا المرشد – وألقيناها في البئر بينما كنا نشاهدها تصغر وتصغر حتى صارت مجرد ذرة من الضوء على عمق ٨٠ متراً لأسفل.

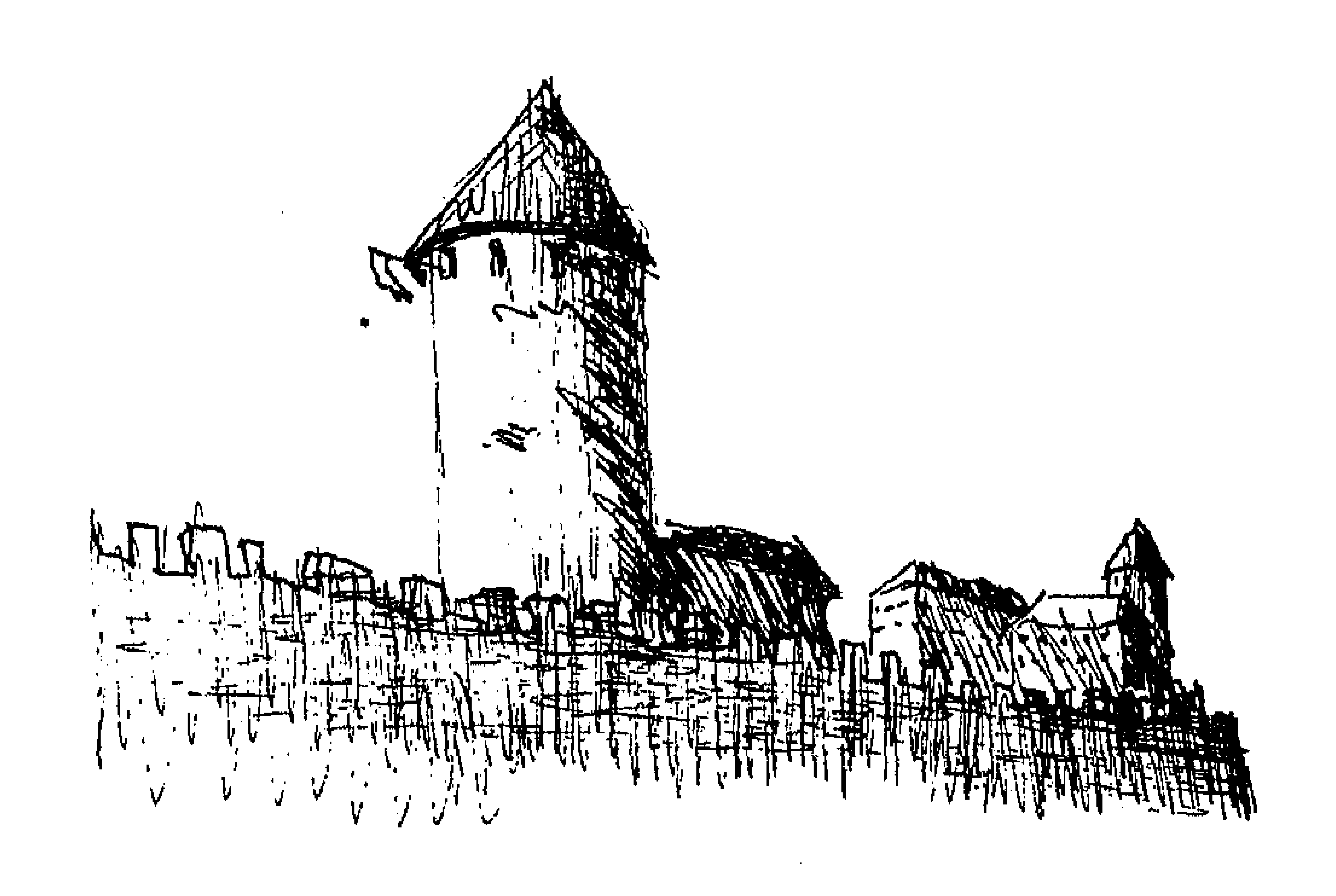
وبعد أن سرنا واستكشفنا متاهة من الأنفاق، خرجنا أخيراً إلى ساحة حصينة كانت مكاناً لتنفيذ أحكام العدالة على مر العصور. كم كان الناس يشعرون هنا بالأمان بين هذه التحصينات والإمدادات! على الأقل أولئك الذين كانوا في صف الملك! في أعلى نقطة من القلعة كان هناك برج محاط ببروج أخرى يستخدمها حراس القلعة كنقاط مراقبة. وكان يمكن رؤية الأعداء من هذه المتاريس وهم يقتربون

ورد هجوم، بينما الذين فى الداخل ينعمون بأقصى الأمان من الهجوم.

لم أستطع أن أمنع نفسي – وأنا أقف محاطاً بهذه الجدران الصخرية – من التفكير في الحصن الذي أعطاه لنا الله... اسم الرب برج حصين، يركض إليه الصديق وينجو من الخطر. (أمثال ١٨ : ١٠)

ألا ينبغي علينا أن نحتمي في اسم الرب؟ لكنه بالنسبة لنا أكثر من مجرد ملجأ. إنه يضمن لنا ألا نفتقد الماء الحي عندما يحاول العدو قطع الإمداد عنا، ويضمن أيضاً إرساء العدالة في محراب مقدسة. وفيه لنا أفضلية على عدونا؛ نركض إليه يبسط لنا المائدة الإلهية في بهاء مجيد حتى نفرح ونستمتع.

«شكراً يارب من أجل أن اسمك برج حصين يسترنا ويحمينا ويعطينا الرؤية الصحيحة وساعدنا أن نعيش الحياة حتى ملئها».



عيد الميلاد

دق جرس التليفون الداخلي وقالت عاملة السويتش في مركز إرساليتنا إن شخصاً من جنوب أفريقيا يتحدث من محطة القطار وهو غريب عن المكان ويقول إن أحدهم أعطاه رقم تليفوننا. فكيف نتصرف معه؟ أجبتها على الفور: «نحن موجودون هنا من أجل ذلك. قولي له إن بيتنا مفتوح ونرحب به لقضاء الليلة معنا.

وضعت السماعة وتخليت موقف ذلك الرجل. فالليلة ليلة عيد الميلاد ومحطة القطار شديدة البرودة ورطبة في الشتاء. إن سخانات التدفئة تعمل بأقصى طاقتها في البيت، بينما هذا الشاب يقف خارجاً في الصقيع لايدري إلى أين يذهب.

كان الظلام شديداً في الخارج، لكن البيت كان مضاءً بوميض الشموع المرحبة والإضاءة الكهربائية. المجموعة هنا يغمرها جو العيد، وكل واحد يلبس أبهى ماعنده في انتظار وجبة الاحتفال بعيد الميلاد المجيد.

فهذا العيد يمثل حدثاً كثيراً في بيتنا، حيث يصاحب وجبة احتفالالمحبة فرص ترنيم وحمد؛ وشهادات فردية شخصية وتأمل في نص من الكتاب المقدس والصلاة والاحتفال بشركة محبتنا وتواجدنا معاً.

في تلك الليلة، جلس ذلك الغريب من جنوب أفريقيا في مقابلتي

على الناحـيـة الأخـرى من المائـدة. لم تكن الترانيم التعـبدية مـعروفة له. ولابـد أن سائر الأشـياء قد بـدت غـريبة أيضاً عليه بما في ذلك نور الشمـوع، والطعـام غـيـر المألوف. ثم بعد أن انتـهينا مـن الطعام أخـذ كل واحـد يعـدد مـراحـم الرب وصـلاحـه كـمـا اخـتـبـرها في خـلال العـام الماضي.



وفي لحظة صمت فجائية، ازاح الغريب كرسيه وانتفض واقفاً وقال: «اليوم وفي وسطكم قد قابلت الله». كان صوته ممزوجاً بكل مشاعر الانفعال وأضاف قائلاً : الآن أريد أن أقبل مسيحكم في حياتي وأصبح تلميذاً له. ورغم أني مصمم على ذلك في داخلي، إلا أني أريد أن أجعل هذا الاعتراف علينا أمامكم. أريد أن يصبح الرب يسوع سيداً على حياتي».

امتلأت عينا بالدموع بينما كنت أسمعه يتحدث. يالها من هدية في عيد الميلاد! حقاً، إن هذا هو سبب مجيء يسوع إلى هذه الأرض، أن يرينا الطريق إلى الحياة الجديدة فيه.

«ساعدني دائماً يارب أن أفتح بيتي وأفتح قلبي للغرباء الذين يظهرون في طريقي».

العملية

استلقيت على سرير الكشف وأخذت أتفحص وجه الطبيب. وعندما ابتلع ريقه في عصبية وصمت للحظة، أدركت أن في الأمر شيئاً خطيراً. وسرعان ما تأكدت مخاوفي. قال لي الطبيب: «إنك تحتاج لعمل جراحة بأسرع وقت، لأن الورم الذي تعاني منه قد يكون خبيثاً».

صعقت وقلت في نفسي: «إذن قد يكون عندي سرطان!» ولم تكد تمضي عدة أيام حتى دخلت إلى حجرة العمليات. تم عمل تخدير نصفي لي فأحسست بتنميل بدءاً من وسطي وحتى أصابع قدمي. لم أكن أشعر بأي ألم أثناء العملية إلا أني كنت متيقظاً ومتنبهاً.

ارتدى الفريق الجراحي الزي الأخضر والكمامات والقفازات. ثم بدأوا يتهامسون بالتعليمات تحضيراً للعملية. وشعرت برغبة فجائية في رفع ساقي إلا أني لم أستطع البتة. فقد صارتا مثل كتلتين من الحجارة الثقيلة. «إذن هذا هو مايشعر به المصابون بالشلل النصفي». ثم تغير الجو في العمليات فجأة بقدوم الجراح الرئيسي إلى الحجرة. حياني ووضع الكمامة ثم تعقم وارتدى ملابس العمليات وراجع كل الترتيبات ثم أمسك بالمشرط الجراحي. العملية توشك أن تبدأ.

كان الأمر غريباً. فثقتي في الله كانت عظيمة، وأيضاً في الجراح الذي أخذ يستخدم أدواته مستخرجاً الورم الكبير البشع. وربما أحس الجراح بفضولي فسألني: «هل تريد أن ترى شكله؟» – «طبعاً بالتأكيد».

وأصابني الدهشة من حجم هذه الكتلة من الخلايا المتوحشة التي استطاعت أن تسكن جسدي.

أمضيت في المستشفى بضعة أيام للنقاهة بعد العملية. كانت أياماً صعبة وطويلة بينما كنت أفيق تدريجياً من تبعات التخدير وانتظر بقلق نتيجة تحليل الورم. هل هو فعلاً خبيث؟ وأخيراً جاءت الإجابة بالنفي، فالنتائج سلبية. وشعرت بارتياح كبير وأخذت أجمع حاجياتي للعودة إلى المنزل. ومع إحساسي ببعض الألم إلا أن فرحتي بزوال الخطر غطت على كل شيء. بينما كنت مستلقياً على مائدة العمليات، بدأت أفهم كيف يتعامل الجراح الأعظم يسوع مع ضعفنا ونقائصنا. فهو يعرف مكامن الأورام في حياتنا ويأخذ مشرطه ويزيلها قبل أن تستفحل وتترك أذى يدوم طويلاً. ومثلما وثقت بالجراح، فالآن يمكنني أن أضع كل



ثقتي في الرب يسوع عندما يتعامل معي جراحياً. فالأورام الخطيرة يجب أن تزول.

«أيها الجراح الأعظم، ساعدني أن أخضع
بكل صبر وأقتناع لمشرطك على مائدة العمليات.
أنا أعرف أن هذه التجربة مع مافيها من قساوة
ستكون حتماً من أجل خيري الأقصى».

من البشاعة إلى النعيم

ما إن خطوت خارج بيت الإرسالية حتى لطمتني مناظر وروائح الأرجنتين بكل قوة. اضطررت أن أكتم أنفاسي بسبب الرائحة الكريهة لبالوعات المجاري النتنة التي تملأ الشارع. بدت المياه في هذه البالوعات الضحلة سوداء وملوثة تعلوها طبقة النفايات القذرة طفت وبرزت على السطح المتسخ.

حتى الشوارع كانت حارة وكأنها قد خلت من الهواء، يسودها سكون مثل ذلك السكون الذي يسبق العاصفة. وكانت أقدام الناس والحيونات المجتازة تخلف وراءها سحابة كبيرة من التراب، هبت متناثرة في الجو ثم حطت على وجهي الرطب. لم أتحمل هذا الهجوم الضاري من الحرارة والتلوث والضوضاء، فاستدرت عائداً إلى البيت.

وجاءت العاصفة الموعودة أثناء الليل وهبت على كل المدينة. سقطت الأمطار حتى ساعة مبكرة من الصباح ثم سطعت الشمس. وتوارت السحب أمام ريح منعشة وأخذت تندفع على صفحة السماء داكنه الزرقة كما تندفع المواكب على سطح بحيرة عملاقة. كنت قد نلت قسطاً وافراً من النوم، فقمت منتعشاً وقررت الخروج في نزهة قصيرة. وفي هذه المرة لم أصدق عيني عندما خرجت من المنزل.

ياله من تحول كبير ! كانت الأمطار قد غسلت البالوعات البشعة بطول الشارع وأزاحت في طريقها بكل القاذورات. وتناثرت هنا وهناك تجمعات صغيرة من المياه الصافية تعكس زرقة السماء وسحابات الثلج البيضاء. حتى الأشجار التي كانت متوارية في مشهد الأمس، ها هي تقف باسقة خضراء وقد انغمست جذورها في الماء.

أما البالوعات الشنيعة فهي تعج الآن بالحياة. إن آلافاً من الضفادع العابثة في مرح قد خلقت موجات صغيرة على السطح. والحق أني لم أر في حياتي مثل هذا العدد من الضفادع! كانت تبدو سعيدة في هذا الجو الجديد وهي تقفز وتلعب وتحاول التغلب على بعضها البعض في عزف مقطوعة من النقيق الذي يصم الآذان. لقد حولت الأمطار مسكنها البائس إلى جنة. وبرزت الحشائش بين ليلة وضحاها واندفعت إليها الحشرات الصغيرة بحشود كبيرة في كل اتجاه. واستحالت المنطقة بأكملها إلى قاعة موسيقية تردد مجد الله الخالق.

أخذت برهبة هذا التحول، واستطعت أن ألمح في نفسي توازياً وتشابهاً روحياً مع هذا الواقع. فنحن البشر كثيراً مانحيل حياتنا والعالم الذي نعيش فيه إلى فوضى ومأساة. لكن الله إذ يتدخل يقلب الكل إلى فوضى ومأساة. لكن الله إذ يتدخل يقلب الكل إلى شئ جميل. ألم يقل في كلمته المقدسة إنه يخرج من الجافي حلاوة، وإنه يسكب ماء على اليابسة؟ إنه يستطيع أن يحول أبشع موقع إلى روضة جميلة تعكس مجده للناظرين.

إذا كانت ظروف حياتك اليوم تبعث على الاكتئاب، فتشجع. فتحت قيادة وإرشاد الله يمكنها أن تتحول إلى حديقة جميلة تعج بحياة

ملكوته. دعه يريك إمكانية التغيير في حياتك. ويمكنك أن تراها الآن بعين الإيمان.

«أيها الخالق الأعظم، أنا أؤمن بقوتك المغيرة!

من فضلك هبني الصبر لأنتظر حتى تتلاشى الغيوم وتمر العاصفة».

نداء البوق

ما أجمل مدينة كراكاو العتيقة في بولندا! إن وسط المدينة يحتل مكانة لائقة في قائمة أفضل وأثمن اثنى عشر أثراً ثقافياً في العالم. وها أنا أقف في اكبر ميدان للأسواق في أوربا إبان العصور الوسطى.

صفوف من النباتات الجميلة القديمة تحيط بالساحة التي تعج بمئات من البشر. بعض البولنديين جلسوا على المقاعد بينما احتشد الآخرون في المقاهي على الأرصفة. إن رائحة القهوة قد ملأت الهواء وسط مشهد ممتع في أمسية صيف عطرة. ولكن حتى هذه اللحظة لم تكن لدى أي فكرة عما هو موشك أن يحدث.

كان مبنى كنيسة سانت ماري البديع يقف شامخاً في الميدان ببرجيه التوأم. وفجأة فزعت الأجراس وتسمرت مئات العيون على أحد البرجين في العلاء. وانفتحت نافذة صغيرة أطل منها شيء فضي، ثم سمعنا صوته. إنه صوت بوق أخذ يطلقه حارس بولندي أصيل. انسابت النغمات الممنغة من البرج، ثم توقفت فجأة في منتصفها لسبب ما.

لاحظ صديقي المقيم في كراكاو امارات الحيرة على وجهي فبدأ يشرح القصة:

حدث منذ مئات السنين أن تم تعيين حارس على برج الكنيسة ليحذر أهل المدينة من أي خطر وشيك. وسارت الحياة كالمعتاد حتى

جاء يوم أطلق فيه ذلك المراقب صوت البوق بسبب خطر يقترب. لقد قدم التتار لينهبوا البلدة؛ واخترق العدو المدينة!

أدى الحارس واجبه بكل أمانة وإخلاص عندما لاحظ التهديد وأخذ يبوق منذراً من البرج. وفجأة، وفي منتصف نداء البوق، صوب أحد التتار سهمه أصاب السهم ضارب البوق في رقبته وقتله على الفور.

والآن وبعد مئات السنين، يقف أحد المبوقين ليعزف نصف اللحن من البرج كل ساعة ثم يتوقف فجأة، تذكاراً للآلام التي عاناها الشعب تحت وطأة التيار حتى إن هذه الكنيسة عينها قد أصابها التدمير الكامل. ولكن صوت البوق يذكرهم أيضاً بالانتصار الذي حققوه أخيراً على أولئك البرابرة. تذكرت وأنا أشاهد وأسمع وأتأمل هذا المشهد الرائع الكلمات التي قالها الله لموسى: «تذكر كل الطرق التي قادك فيها الرب».

كم من الوقت نصرفه في التأمل في عذابات ونصرة الرب يسوع؟ ألا ينبغي أن نمضي وقتاً أكثر في تذكر كيف قادنا الله باقتدار وأن نشكره على ذلك؟

«يارب، بوّق في حياتي المرة تلو الأخرى لتذكرني بقيادتك الرائعة لي حتى أشكرك بملء قلبي».



المسالك الجانبية

من الصعب أن يصف المرء مبلغ روعة وإثارة الخريف في جبال سويسرا. لذلك قررت في أحد الأيام الأجازة أن أستمتع بنزهة طويلة في الهواء الطلق. تسلقت جانب الجبل فشاهدت أمامي پانوراما تفوق الخيال. وأخذت قمم التلال الزرقاء تنفض واحدة تلو الأخرى بينما الوديان الخضراء العميقة من أسفل بدت مبدورة بالشاليهات السويسرية الجذابة المتناثرة في منظر بديع.

وتبادرت إلى سمعي أصوات الأجراس في عنق الأبقار. فقلت لنفسي «لابد أنها قريبة جداً من هنا». وما لبثت أن ظهرت أوائل تلك الكائنات السويسرية التي تفيض صحة ونضارة. ها واحدة، اثنتان، بل مجموعة بأكملها كانت تتحرك ببطء على جانب الجبل متجهة إلى أسفل نحو الوادي.

ثم ظهر الراعي في الصورة وعندما اقتربت مني تجاذبنا أطراف الحديث دون كلفة. نعم، إنه الوقت المناسب الآن للنزول بالقطيع من المروج العالية التي قضوا بها الصيف. فالجو البارد قد أعلن عن قدومه وقريبا ستسقط الثلوج مما يهدد تلك المواشي بالفناء. والآن هم في طريقهم إلى القرية حيث تضمهم الحظائر الدافئة المريحة طوال شهور الشتاء.

كان القطيع يتحرك بثبات على المنحدر. مازال هناك الكثير من

الحشائش على الممر الجانبي إلا أن الأبقار تجاهلته تماماً. قال لي الراعي: «هذه ظاهرة مثيرة جداً. ففي كل عام عندما ينتهي وقت بقائهم فوق مروج الألب ونشرع في النزول، تدرك الأبقار وجهتها تماماً. فتسير وسط أفضل المروج متخطية الحشائش شديدة الخضرة. إنها تعرف أنها رحلة يوم كامل إلى الحظائر، لذلك فهي تحتفظ بمسار ثابت لا تنظر خلاله يمنة أويسرة. وهي لا تتحول إلى طرق جانبية ولا



حتى تحت إغراء العلف الثمين على طول الطريق، لأنها تعرف أنها ماضية إلى البيت».

ياله من أمر مشوق. إننا نحن البشر ننساق إلى مسالك جانبية ونحن في طريقنا إلى أورشليم السماوية تحت تأثير شتى الأشياء الجميلة.

وقد طلب منا يسوع أن نضع هدفنا نصب أعيننا، لكن كثيراً ما ننحرف عنه.

يارب ساعدنا أن نتجاهل كل ملاهي هذا العالم وأن نثبت أعيننا عليك!
«يارب، بينما نتبعك اليوم، ساعدنا ألا تأخذنا الطرق الجانبية
بمتعها الجذابة. بل دعنا نضع هذا الهدف أمامنا،
أن نصل إلى مقرنا الأخير قبل أن يحل الظلام».

مستعارة

هل كان في حياة يسوع أي شئ غير مستعار؟ هل عاش بهذه الطريقة لأنه فقير، أم كان مثالاً لأقصى التواضع. مسلماً كل حقوقه وبالتأكيد استقلاليته؟

بينما كنا نطل من حقول الراعي على بيت لحم مكان ولادته، صدمتني فكرة أن المسيا قد ولد في مذود مستعار. وبعد جولة قصيرة في بيت لحم تحركنا إلى بحيرة الجليل حيث توقفنا عند الشاطئ. إذن كان هذا هو الموضع الذي علم فيه يسوع الجموع وحيث استعار مركباً ليهرب من ضغط الجماهير على ضفة المياه.

وكانت محطتنا التالية هي أورشليم مركز وجوهر رحلتنا. جلسنا على قارعة الطريق في شوارعها نقرأ قصة دخوله الانتصاري. لكن كيف دخل إلى المدينة هذا الشخص الذي رحبوا به كملك اليهود؟ لقد كان يركب جحشاً مستعاراً.

ومن ضواحي المدينة أتخذنا طريقنا إلى العلية الشهيرة حيث يقول الدارسون إنها مكان العشاء الأخير. وحتى هذه الغرفة العادية التي تنقصها النظافة لم تكن ملك يسوع بل مستعارة.

وصعدنا طريق الصليب، ولمعت أمام ناظري آخر مشاهد حياة يسوع تخيلته وهو يترنح في ذلك الطريق الحجري تحت ثقل الصليب المستعار.

أدركنا صباح الأحد ونحن في البساتين قريباً من بوابة المقبرة التي دفن فيها يسوع. وكسرنا الخبز معاً متذكرين الصليب في نفس موقعه لكني تهللت بالقبر الفارغ. ثم أدركت أيضاً أن القبر بدوره كان مستعاراً!

آه لو امتلكنا الشجاعة والتواضع معاً لنمضي في طريق الحياة زاهدين في البحث المضني عن الممتلكات! لقد عمل يسوع كل ما كان يحتاج عمله ومع ذلك ظلت معظم الاشياء التي استخدمها مستعارة أو موهبة من الغرباء.

سنكون أكثر حكمة لو نظرنا إلى زنابق الحقل وتعلمنا منها فحتى الملوك في جلال مجدهم لم يلبسوا كواحدة منها.

«علمني يارب كيف اعتمد على نعمتك وليس على ممتلكاتي الأرضية!
فعند الثروة ساعدني أن أعطي للآخرين بروح السخاء،
وعند الحاجة ساعدني أن أقبل عطاءهم بقلب شاكر متضع».



الحياة الراكدة

كنت أقف على معبر السفينة انسطاسي التي كانت تعبر المحيط الهادي من الولايات المتحدة إلى نيوزيلنده. وامتدت أمامي صفحة المياه الهادئة الملساء حتى خيل لنا أننا اخترقنا مساحة من المياه الساكنة.

قال الكابتن: «أننا نسمي ذلك بالركود، فقديماً كانت السفن تمكث هنا لأيام طويلة بدون أي بادرة رياح تساعدها على الحركة. والمياه التي نحن فيها الآن تشبه المقبرة في موتها، ولاتكاد توجد حياة بحرية من تحتنا». واستدرت إلى لوحة الآلات فتبينت أن سرعتنا تصل بالكاد إلى ١٢ عقدة.

تركت المعبر وتجولت على السطح ونظرت إلى المدخنة. كانت سحب الدخان الأسود تتصاعد مستقيمة في الهواء حيث إنه لا توجد رياح تميلها إلى ناحية أو أخرى. والحق أن هذه الحرارة الخالية من الحياة كانت لا تحتمل. فلا شئ لتراه أو تعمله وابتلت ملابسي بالعرق.

وامتدت الأيام إلى اسابيع وتقدمنا نحو الجنوب. وبدأت الرياح تنشط وعلا صوت المياه. وأخذنا دفعة حتى إننا أغلقنا نوافذ الإعصار. ولم تعد الحياة فقط إلى السفينة بل إلى المحيط من تحتنا. وجاءت الدلافين لتسبح بجوار السفينة لساعات طويلة. وعلا سطح المياه وانخفض كاشفاً عن حوت ضخم في الماء أو يندفع بجسمه الكبير في

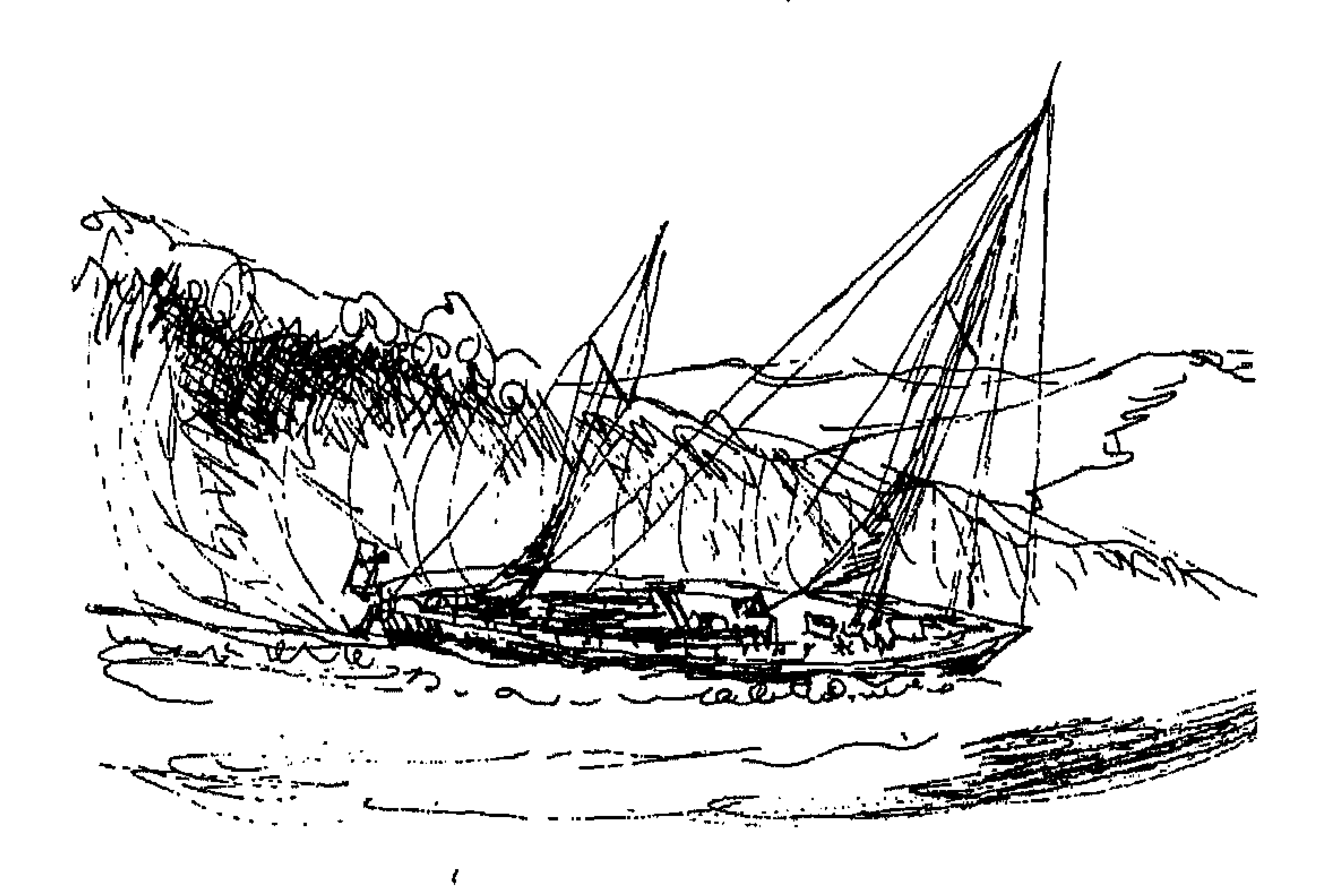
الهواء ثم تبعه سرب من الأسماك الطائرة تتقلب وتقفز فوق متن الأمواج. وفي وسط كل ذلك سمعنا أن إعصاراً قد هاجم بعض الجزر القريبة، فأعددنا عدتنا لمواجهة آثاره وأخرجنا أقراص دوار البحر وتشجعنا. ولاشك أن الحياة على المركب أصبح لها مذاق آخر مع تغير المنظر المستمر والأحوال الجوية التي تتحدانا.

وهكذا حياتنا اليومية. فبدون صراع وتيارات معاكسة ودوران عجلة الحياة يحل السأم والسكون القاتل.

أليس من الأفضل مواجهة الرياح والأمواج بكل ما تجلبه من حياة وتحديات تضعها أمامنا؟

لقد قال يسوع أيضاً إنه لم يأت ليلقي سلاماً بل سيفاً.

«شكراً يايسوع على التحديات الكثيرة التي نواجهها في رحلة الحياة. فاستخدمها لتقوينا وتنهضنا، بل قدنا بعيداً عن المناطق الراكدة غير المثمرة التي تحول بيننا وبين النمو فيك».



الوهج

كنت أجلس مساءً أمام المدفأة وأشاهد آخر ألسنة النار فهي تحتضر. منذ لحظات كان بإمكاني أن أتبين أشكال أثاث الحجرة في ضوء اللهب الخافت. لكني الآن أكاد أرى بصعوبة. ولم يتبق من النيران إلا وهج أحمر خفيف في الجمرات. فالتمست طريقي إلى الباب في الظلام وذهبت للنوم.

وفي الصباح التالي عدت أضرم النار من جديد. كانت المدفأة باردة سوداء ورطبة ليس بها إلا كومة من الرماد الأسود فوق الحامل. «ياله من أمر مزعج، إذ يجب أن أبدأ التقليب من جديد».

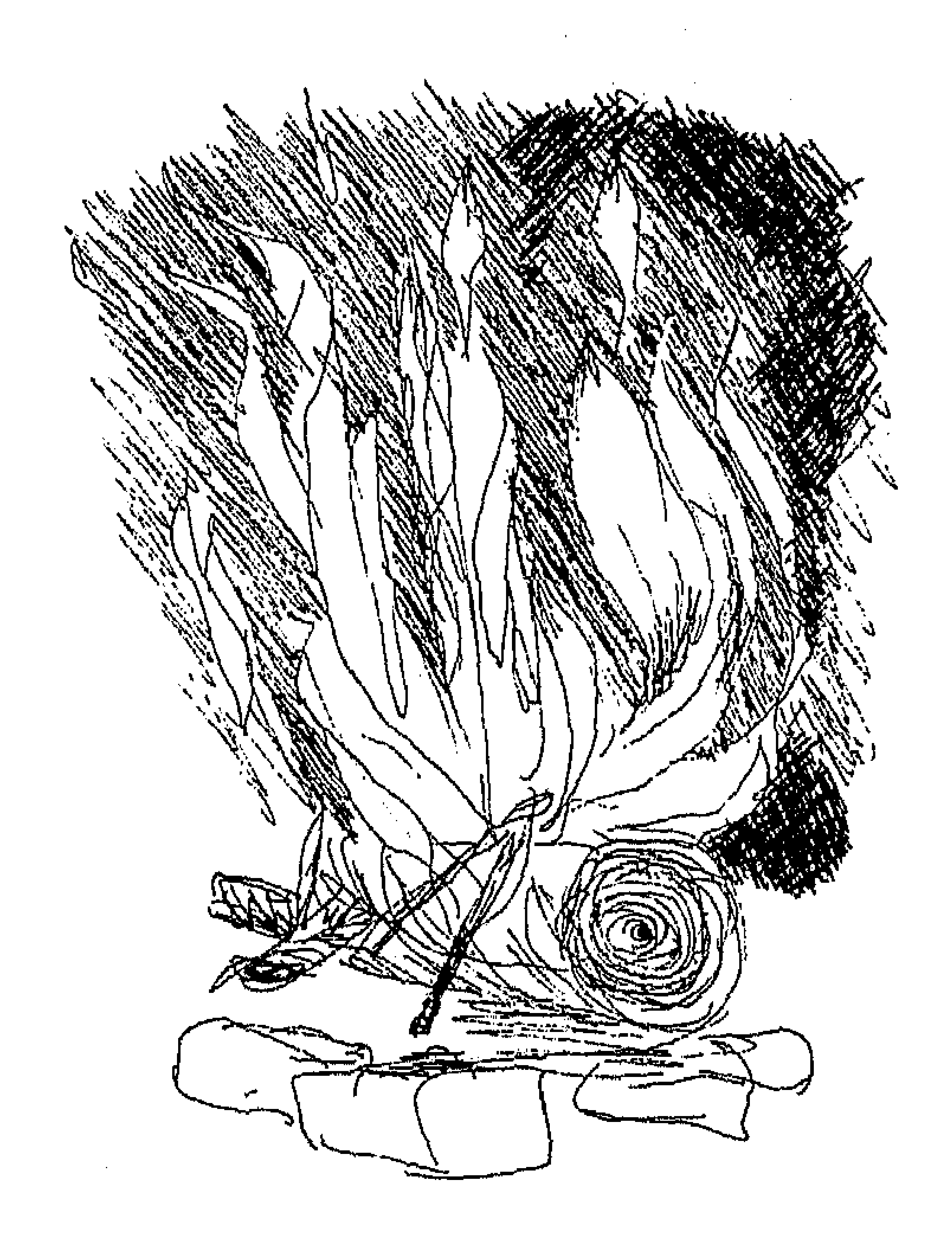
كان عليّ أن أجمع الأوراق والخشب وأشعل عود ثقاب للحصول على شعلة. أمسكت المجرفة وأنا أتنهد، وفجأة اكتشفت جذوة حمراء صغيرة لا تزال باقية في قطعة من الخشب، فاستراحت نفسي.

كنت أعلم أن هذه الشرارة الصغيرة تحوي قدراً من الحياة، كافياً لاضرام نار متأججة. فأضفت قطعاً قليلة من الخشب ونفخت بشدة في تلك الجذوة الحمراء وشاهدتها تتحول إلى اللون البرتقالي وتنمو رويداً حتى صارت شعلة كبيرة.

تلقيت درساً قيماً من تلك المدفأة. أدركت أن عند شعورنا بالبرودة والكآبة والاضمحلال فلدى الله الصبر ليبحث فينا عن

تلك «الفتيلة المدخنة». لينفخ فينا حياة متجددة بقوة روحه القدوس.

«أشكرك يارب، لأنك ترى فيَّ إمكانية النار الساطعة حتى وإن فقدت بعضاً من دفئي وبريقي».



السقوط

بدأنا تسلق الجبل قبل الفجر بوقت طويل. أسفرت تلك الساعات من الصعود إلى وصولنا لنقطة قريبة من القمة الجليدية البيضاء للجبل السويسري. تشبثت قطع الصلب المشدودة إلى أحذيتنا بالجليد بإحكام، وكان فريق التسلق كله مربوطا معاً بالحبال لمزيد من الأمان.

وقبل أن نصل إلى القمة كان علينا أن نعبر حقلاً واسعاً من الجليد الصلب. وللتركيز هنا أهمية حيوية قصوى لأن أي هفوة أو زلة سينتج عنها سقوط مميت.

كان المرشد يلقي إلينا بالتعليمات: «عليكم أن تبقوا الحبل مشدوداً طوال الوقت في حالة سقوط أحدكم». كان هذا المرشد قوياً وخبيراً في تسلق الجبال، أما صديقي «بول» فكان يتحرك بحذر شديد وببطء على الجليد. نظرت لأسفل وارتعدت؛ فالجرف من تحتنا قد تعديناه بمئات الأقدام.

وبغتة دوت صرخة عالية ووجدت المرشد يسقط بسرعة أمامي. وما هي إلا لحظات حتى توتر الحبل حول وسطي وترنحت مائلاً. ارتجفت من الصدمة، إلا أنني كنت مشدوداً إلى بقية الفريق وكانت معاولنا تضرب بعمق في الثلوج. وتعلق مرشدنا بالطرف الآحر من الحبل في أمان.

جذبنا إلى سهل الجليد وقد تملكنا الرعب والرهبة من المأساة التي

كانت على وشك الحدوث. ثم قررنا الاكتفاء بهذا القدر من التسلق اليوم والعودة للسفح، ويكفي أن القمة كانت قريبة منا أو كنا قريبين منها!

وفي أثناء الهبوط، أدركت أننا نملك مرساة أكثر أمانا وثقة في المسيح يسوع. ياله من أمر مطمئن أن نعلم أننا إذا سقطنا فلن نُفقد لأنه وعد أن يحملنا على يديه.

«كم أشعر بالعرفان نحوك يا يسوع،
لأن يديك ثابتتان إذا سقطت» .



عربة الطعام

لم يكن صعباً على أي عابر أن يدرك أن هذا الرجل فلاح. فإن ملابسه ذات اللون البني ونسيج معطفه الخشن والطريقة التي يتصرف بها، كلها توحي وتؤكد ذلك. ولم تكن نظراته ولا هيئته أو سلوكه تناسب المكان والموقف.

كنت أستقل قطاراً سريعاً فاخراً بين مدن سويسرا وقررت أن أتناول الطعام في عربة الطعام الجميلة وذلك على سبيل التغيير. فكفى ما تناولته من ساندوتشات طوال رحلاتي السابقة، فلماذا لا أدعو نفسي إلى وجبة غداء لذيذة؟ وبالفعل توجهت إلى عربة الطعام التي كانت مكتظة لولا أن لمحت آخر مائدة بكرسيين. واسترخيت في مقعدي وأنا أشاهد المناظر المتتابعة للريف السويسري بينما أتناول الطعام.

وظهر ذلك الفلاح الخشن غير المهندم، لكن الحق أنه كان يتمتع بكياسة ودماثة خلق – وراح يبحث عن مكان ليجلس فيه. وراعني رد فعل النادل أذ اندهشت لقوله بصوت عالٍ: «آسف، ليس لك مكان هنا!» كان واضحاً أن النادل يرفض هذا الزبون القروي. ولكن لازال هناك مكان شاغر – وهو بجانبي.

قلت للنادل: «معذرة ياسيدي، يمكن الجلوس معي على مائدتي». وبذلك أومأت إلى القروي ليأتي ويرتاح بجانبي. رفع النادل حاجبه لكن القرار كان قراري ولم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً حيال ذلك.

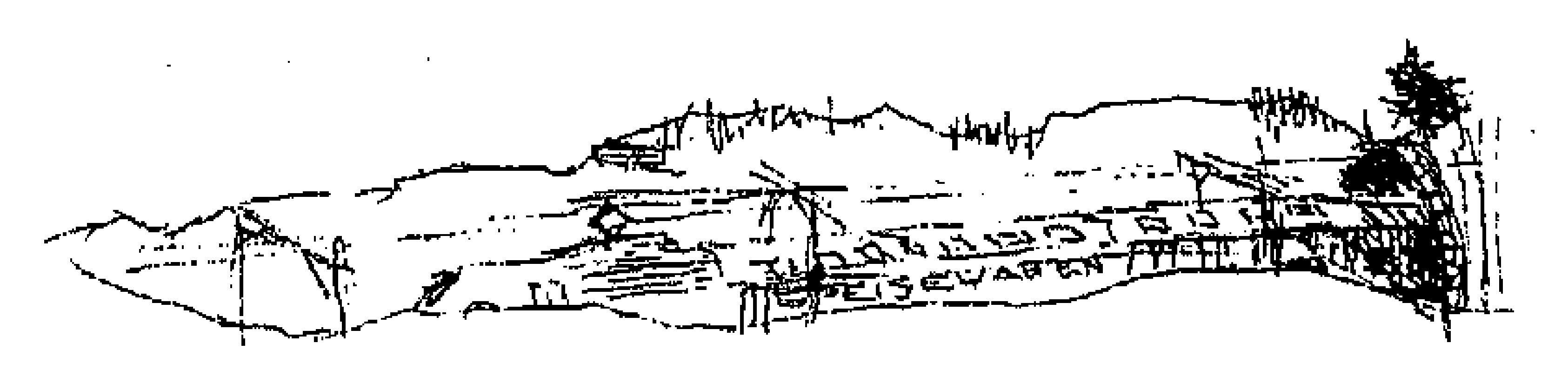
وجلس الفلاح واستدار إليّ فوراً قائلاً: «هل رأيت الطريقة التي عوملت بها؟ إن النادل يظن بالطبع أني قروي بسيط. لكن دعني أقول لك إنني اليوم أصبحت مليونيراً كبيراً! لقد بعت مزارعي إلى مؤسسة عقارات وقد وقعت العقد لتوي مع الشركة الكبرى. فقررت احتفالاً بهذه المناسبة أن أخرج في نزهة بالقطار وأستمتع بوجبة في عربة الطعام».

ومع غرابة القصة إلا أنها كانت حقيقة واقعة. لقد رأى النادل فلاحاً فقيراً لا يملك ما يوفر له قيمة الطعام في هذه العربة الفاخرة؛ بينما قد شاهدت أنا رجلاً أسيئت معاملته ويحتاج إلى رد كرامته فدعوته.

كثيراً ما نحكم بالمظاهر فقط ونفوت فرصة الاحتكاك الأعمق بإنسان آخر. والذي حدث أني لم استمتع فقط بصحبة جميلة على مائدة الغداء بل قد منحني هذا الرجل هدية تذكارية وقد تجاوبت مع لطفه بدعوته لزيارتي في بيتي.

ألم يحذرنا الكتاب المقدس من الحكم على الآخرين بحسب مظهرهم الخارجي؟ حتى النبى صموئيل سقط فريسة لذلك، حينما حاول اكتشاف أي من أبناء يسى سيمسحه ملكاً. الرب وحده يعرف حالة القلب، فلنترك الحكم له بينما ننشغل نحن بمهمة حب بعضنا البعض تماماً كما أحبنا الله وأسلم نفسه لأجلنا.

«يارب، أريد أن أكون حساساً لروحك ولا أتكل على فهمي البشري. ساعدني ألا أحكم بالمظاهر الخارجية، بل أن أنظر لكل شخص كابن عزيز على قلب الله».



المثابرة

أمسكت بالكتاب المقدس وخطوت إلى شرفة منزلنا في ذلك الصباح المشمس، ولكن ما لبثت أن توقفت مندهشاً. ففي الليلة الماضية كنت قد كنست الشرفة وحرصت بشدة أن أزيل بيوت العنكبوت. والآن ها هي تعود ثانية! كان نسيج أحد هذه البيوت في حجم الكف وعلقت الأخرى بالقوائم والثالثة على السور. كنت أزيحها كل يوم وأعود فأجدها في الصباح التالي منسوجة من جديد ومبنية بعناية. أي دأب ومثابرة تتحلى بها هذه العناكب!

جلست وفتحت كتابي المقدس متوقعاً أن يكلمني الله من صفحاته. لكن رسالة ذلك الصباح قد جاءت من مصدر مختلف تماماً.

ورأيت أمام عيني عنكبوتاً صغيراً يبدأ في نسيج أكثر تحفة مدهشة. كان هذا المخلوق المذهل يفرز خيوطاً تمتد من السقف حتى الأرض. ويبني بيته مبتدئاً من الوسط ومتجهاً إلى الخارج بحرص وبنظام تخطيطي أخاذ. وسرعان ما اتخذ البيت شكله وأنا مازلت مندهشاً من قوة تصميم هذا الكائن. لم يكن في ذهنه سوى شئ واحد: تتميم البيت، فأخذ ينسج دون توقف من أجل الوصول إلى هدفه. ناديت على زوجتي لتأتي وتشهد هذا العمل الرائع وأشرت لها إلى المسافات التي تعقد عندها خيوط التعليق التي امتدت لمسافة أمتار. ولكن في لحظة واحدة تحول كل هذا العمل إلي لا شيء عندما

هدمت «إليان» بحركة غير مقصودة خط التعليق. ولم يتبق من كل هذه الهندسة المعقدة إلا خيط واحد. وتدلى العنكبوت من هذا الخيط بحركة خاطفة كأنه صدم لتهدم بيته. ثم إذا به يندفع بغتة ليعمل بكل نشاط مرة أخرى. وبدأ يغزل وينسج من جديد باجتهاد وطاقة متجددة.

لقد نفذت هذه المثابرة والتماسك إلى أعماقي مباشرة. هل كنت سأتخلى بمثل هذه المقدرة على التشبث بالعمل إذا ما تم تدمير عملي الذى أنجزته بجهد وعرق متصل؟ أم كنت سأستسلم يائساً؟ يجدر بي أن



أتعلم من تلك العينة الصغيرة من خليقة الله؛ متحلياً بمثل تلك المثابرة حتى أعيد البناء المرة تلو الأخرى برغم النكسات المتعاقبة.

«يارب علمني كيف يكون عندي نفس هذا النوع من الصبر والمثابرة.
كثيراً ما استسلم بسهولة عندما تسد العوائق طريقي.
ساعدني أن أواصل الاستمرار».

الثلج

كان الشتاء قارساً جداً. وساد طقس ما تحت الصفر لمدة طويلة. لكن ما إن اتخذت مجلسي في طائرة الخطوط السويسرية حتى شعرت بالأمان لعلمي بأن جهاز العاملين بالمطار يعرف جيداً واجبه.

احتشد عدد من الطائرات في انتظار الأمر بالإقلاع. ولكن في مثل هذا الطقس هناك شيء يجب عمله قبل ذلك. واستطعت أن أرى وحدة متحركة ضخمة تتكون من شاحنة بترول وذراع ميكانيكيته تحمل رجلاً في طرفها متدثراً من برودة الجو. كان الرجل يوجه خرطوماً عملاقاً إلى كل طائرة ثم يتوجه بذلك الاختواع الغريب إلى الطائرة التالية.

كانت الذراع الميكانيكية تدور وتتحرك عالياً في الهواء لتسمح للعامل برش الطائرة بأكملها بسائل كحولي وخاصة الجناحين والذيل. وبذلك يذوب فوراً أي جليد يكون قد تجمع ويتم التخلص منه.

وجاء دورنا. وبينما كان الرذاذ يصطدم بجوانب الطائرة، شعرت بضغط الخرطوم الشديد وكأنه في داخل الكابينة ولكني شعرت بأمان تام.

وقد علمت أنه من الأهمية القصوى في مثل هذا الطقس إزالة أي ثلج متراكم وبخاصة على الأجنحة. فإذا ترك هذا الثلج سيؤثر على تيار

الهواء جاذباً المزيد من الثلج حتى تتوقف الأجنحة عن الاستجابة لتوجيه الطيار، الأمر الذي يؤدي إلى سقوطنا لأسفل.

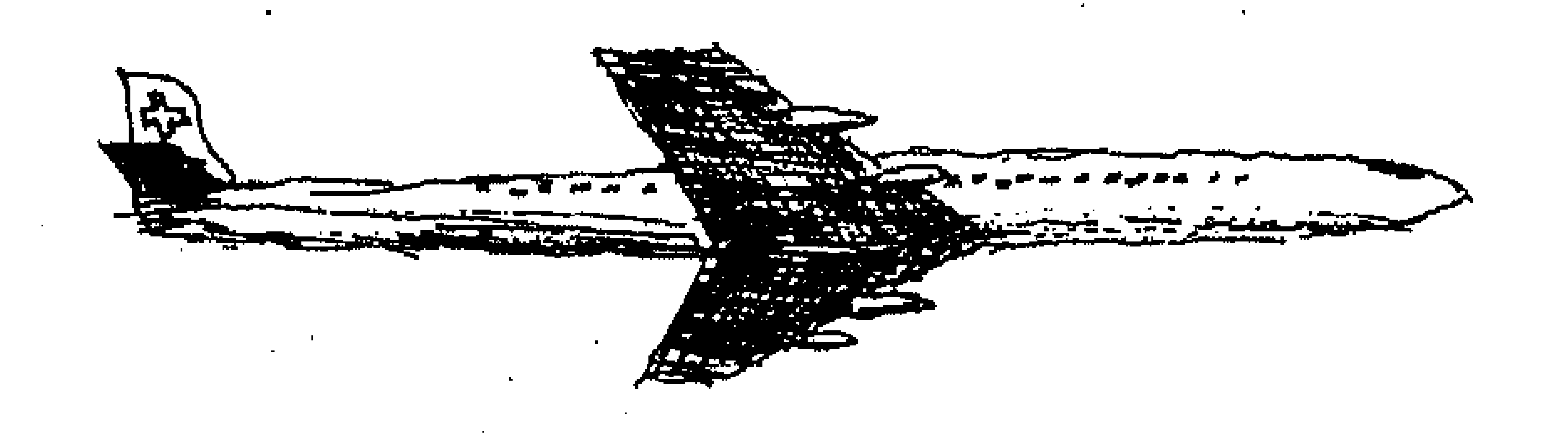
وبينما كانت الاجنحة تقطرسائل الجليكول، كنا قد اتخذنا مسارنا على الممر وحلقت الطائرة في السماء. حملنا الهواء - بدون تراكم الثلج - عالياً وبعيداً!

هل تعرف أننا نحن البشر أيضاً لنا مشكلة مع تراكم الثلج؟ فإذا تمضي بنا الحياة، نكتسي بطبقة رقيقة من الجليد بفعل اصطدامنا ببرودة عالم غير ودود. وتبدأ الإساءات والأحقاد والضغائن في تراكم حتي نفقد استجابتنا لتوجيه الله بالكيفية التي كان يجب أن نكون عليها.

ونحاول أن نحلق بهذه الحالة، فيزداد تراكم الثلج على أجنحتنا، وقبل أن يمضي وقت طويل نكون قد سقطنا على وجوهنا. لكن الله لديه تركيبة رائعة من «الجليكول»! وبالطبع فهي تأتينا بصور شتى؛ من خلال الغفران الذي يشملنا نحن والآخرين، أو من خلال المشورة أو من خلال كلمة الله... لكن فوق الكل من خلال دفء الروح القدس.

عرض نفسك له ودعه يحررك من أي شيء يكون قد تراكم على أجنحتك. حينئذ تستطيع أن تحلق وتسمو إلى ارتفاعات جديدة في المسيح يسوع.

«ياروح قدس الله غطني بدفء محبة الله،
ولتُذِبْ كل ما علق بي في حياتي، حتى أبلغ معك ارتفاعات جديدة».



الطيور

كانت الساڤانا الأفريقية تعج بمختلف الحيوانات. فهذه قطعان من الأفيال تشق طريقها ببطء، وتلك زرافات تمرح وتتعانق برقبتها الطويلة وهناك آلاف من الخراتيت ذلك الحيوان الافريقي الضخم. استطعت من مكاني على الجبل أن أستكشف كل المنطقة. ياله من عالم جميل قد صنعه الله!

ثم تبينت أن هناك سرباً من النسور يحوم فوق قطعة جرداء وسط الغابة. لابد أن هناك حيوانا على وشك الموت، وتتحين النسور فرصة الانقضاض عليه. نزلت واقتربت اكثر من تلك البقعة ورأيت جثة مسكينة وقد تزاحمت حولها النسور ليست من الطيور المفضلة لدى!

اكتفيت بهذا القدر في ذلك اليوم ولم أتحمل المزيد وعدت سريعاً إلى مقر إقامتي في القرية.

إن قارة أفريقيا رائعة حقاً وتستهويني؛ وسرعان ما عاد حبي لها وكلفى بها اليوم التالي. فعند شروق شمسها الاستوائية في ذلك الصباح جلست في خلوتي مع الله. في البداية ساد سكون تام. ثم قطع الهدوء تسلل صوت خفيض إلى أذني. استدرت سريعاً فرأيت طائر الطنان الصغير يقفز من زهرة لأخرى ليستمتع برحيقها الأخاذ.

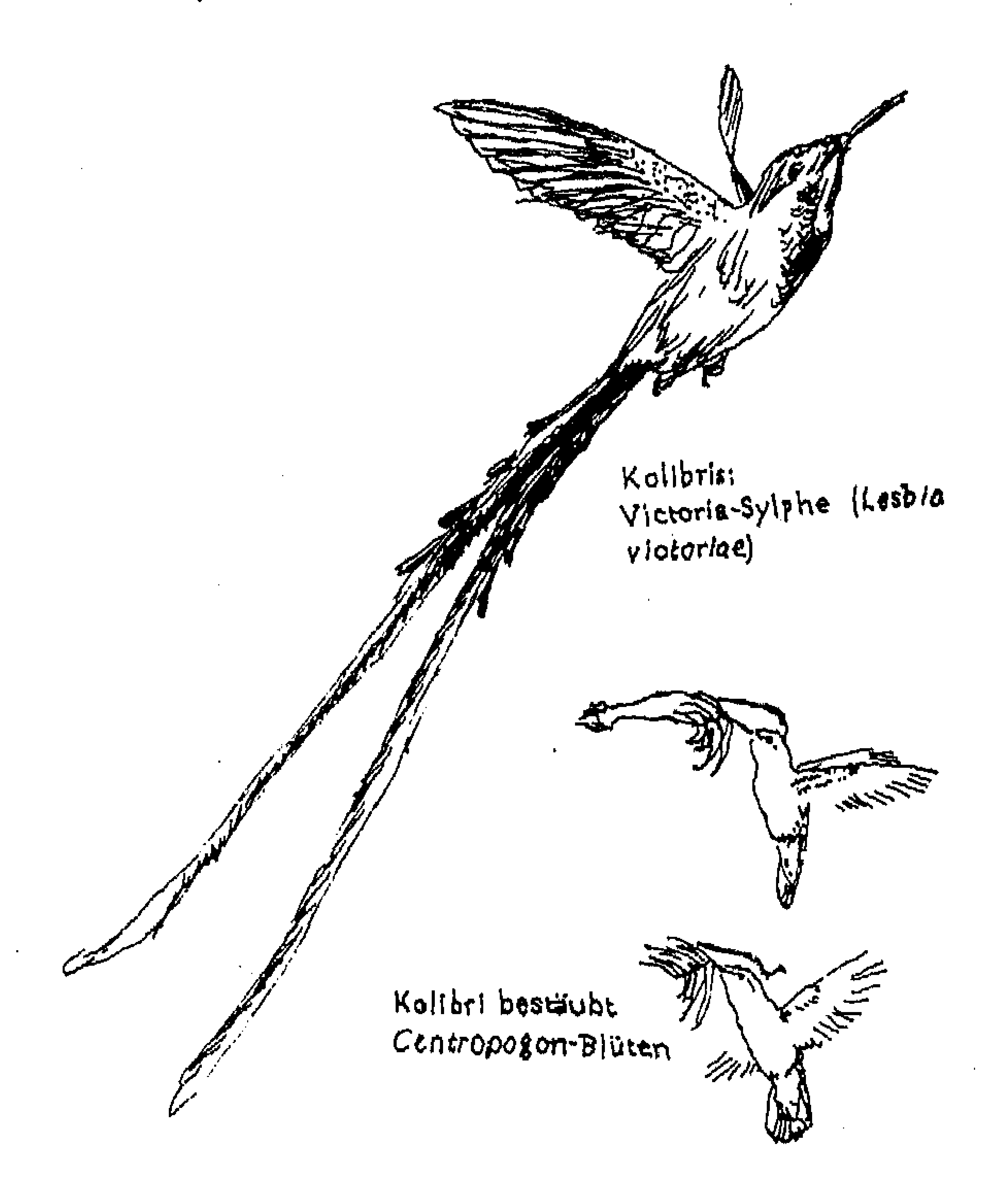
وتابعت في خشية ورهبة تلك العينة جميلة الألوان من خلق الله التي تتغذى لا على الموت بل على حلاوة الحياة.

النسر.... والطنان. كل منها يتغذى لكن على مواد مختلفة تماماً.

وأنا.... ما هو غذائي؟ هل على مصائب وفشل الآخرين أم على ايجابية الأشياء الحلوة في الحياة؟

ألم يقل بولس: «كل ما هو حتى كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففي هذه افتكروا».

وعندما يقول الكتاب المقدس: «هكذا يكون في انقضاء العالم.



يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار». فإنني بالتأكيد أريد أن أنضم للفريق الصالح.

«يارب، أنا أدرك تماماً أن الحياة والموت متلازمان
جنباً إلى جنب في العالم.
من فضلك ساعدني أن أهرب من الموت
لأتغذي على حلاوة خليقتك».

المزلقان أو الحواجز

انطلق رنين الجرس واضحاً، وأضاءت أنوار التحذير الحمراء بوميض متقطع، وهبطت ذراع المزلقان الطويلة لتحتل المكان.

وللعلم فقد كان بإمكاني تخطي هذه العوارض بسهولة، والمضي في طريقي لأن الحاجز لم يكن يغطي إلا نصف الطريق مما يوفر مكاناً كافياً يتيح لأي شخص أن يفسح الطريق بسرعة قبل أن يصل القطار.

ولكني كنت أعلم ما هو أكثر من ذلك. فبينما كنت منتظراً بسيارتي هب القطار فجأة من المنعطف. شعرت بسرور لأنني كنت في أمان بعيداً عن طريقه وهو يدوي عالياً وعرباته الحديدية تقعقع بأقصى سرعة، وتكاد عصفة آلاته الصاخبة تطيح بي.

ونظرت في رؤية نظرة ساكنة إلى القضبان الحديدية التي تبعد عني بضعة أقدام. سيظل هذا المكان عالقاً بذاكرتي متشبثاً بها ما حييت؛ فهنا قد تعرفت على جثة صديقي «ديڤد».

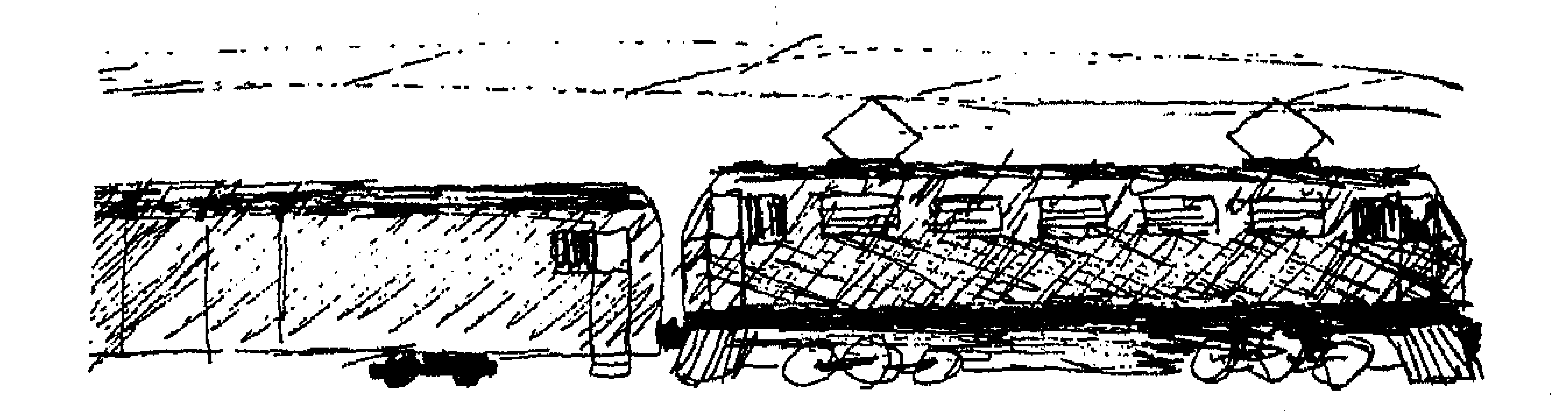
لقد سمع هو أيضاً نفس الأجراس ذات ليلة، ورأى الأنوار وشاهد ذراع المزلقان الحاجزة وهي تهبط. لكنه لابد قد فكر بشبابه الفتي وملء الثقة قائلاً: ولماذا الانتظار؟ فأمامي متسع من الوقت للعبور قبل أن يأتي القطار... فقرر أن يفعلها... وليته ما قرر... فبينما يهم بالعبور، صدمه القطار القادم بأقصى سرعة ليحمله في لحظة إلى مصيره المحتوم.

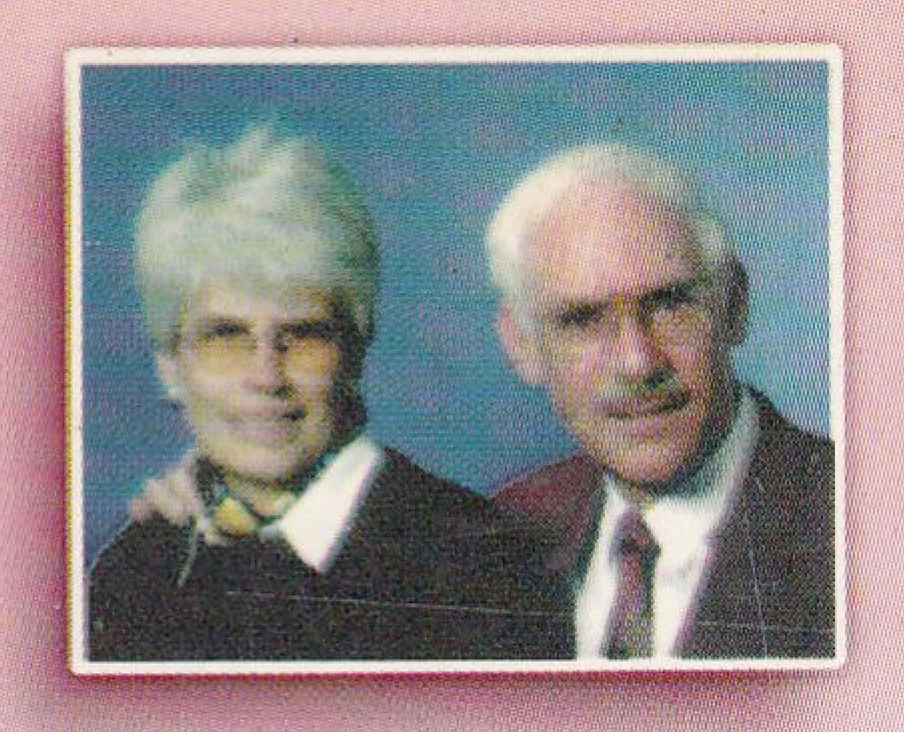
آه لو التفت إلى علامات الإنذار ولم يعتبر نفسه فوق القانون! لأصبحت ذراع الحاجز الذي يسد طريقه سبب نجاته. أفقت من استغراقي على آخر عربة من عربات القطار وهي تعبر أمامنا. وما هي إلا لحظات حتى انطفأت الأنوار ورفعت الحواجز وأصبحت حراً في التحرك إلى الأمام.

وتساءلت في أسي لماذا لا نبالي بالإشارات وعلامات التحذير التي يضعها الله أمامنا؟ إنه يفعل ذلك فقط من أجل حمايتنا وأمننا. أخي العزيز، عندما يمد الله الحواجز في حياتك المرة القادمة، فالتفت وانتظر، لا تتعجل!

وتأكد أنه بعد مرور الخطر سترفع تلك الحواجز مرة أخرى لتواصل طريقك بكل أمان.

أشكرك يارب من أجل كل عوامل الأمان التي تحيطني بها.
أعني أن ألتفت إليها وأقدرها لأنها وضعت لخيري الأقصى.





رحلة فى دروب الحياة

لقد تنقل رودى لاك بين اكثر من مائة دولة مختلفة وقد خدم الانجيل فى أغلب هذه البلاد . وقد بداء حياته ككميائى وباحث . وقد تلقى تعليمه اللاهوتى من انجلترا .
وعلى مدى الخمس والعشرين سنة الأخيرة احتل مراكز قيادية فى إحدى الحركات الشبابية اللاطائفية الدولية .
وهو يعيش مع زوجته إيليان فى مدينة اينجين فى سويسرا .

أحيانا نحتاج لدليل يقودنا ونتعلم منه الدروس العظيمة التى تختفى خلف ما نتعرض له فى حياتنا اليومية . مثل هذا الدليل هو رودى لاك . الذى يقودنا من خلال بعض مشاهداته فى رحلته فى دروب الحياة .

وقد رأى رودى الأدلة الكثيرة فى حياته التى بها يثبت أن يد الله مازالت تعمل فى العديد من البلاد فى جميع أنحاء العالم .

وهذا ليس غريباً . اما الأمر الغريب فهو التفاصيل [illegible] لكل لحظة فى الحياة التى بها تمكن رودى من [illegible] الكثير عن الله . وعن حقيقته وصلاحه فى كل مواقف[illegible] وبقراءتك لهذه المقالات قد تنفتح عيناك لترى رؤى [illegible] رحلة حياتك .

هيات مور
رئيس مؤسسة ويك[illegible]
بالولايات المتحدة الأم[illegible]





مكتبة المنار

Lighthouse Book Center